

عودة الباريسينا

صفا
فاضل

عودة الباريسا

المهون
MOHEMOUN للنشر والتوزيع

- ◀ الكتاب: عودة البارستا
- ◀ المؤلف: صفا فاضل
- ◀ التصنيف: رواية
- ◀ الناشر: دار ملهون للنشر والتوزيع
- ◀ التصنيف العمري: E
- ◀ الطبعة الأولى: يناير 2024

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-756-74-3



إذن طباعة: MC-10-01-7801327



جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لمهون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهون للنشر والتوزيع.

الطباعة: AL MASAR PRINTING

   darmolhimon
 www.darmolhimon.com
 +971655511844

 SHJ, Industrial Area 18 –
SHD 13, Office :1
 info@darmolhimon.com

المحتويات

7	عزيمي القارئ قبل أن تبدأ بالقراءة...
13	المقهى مُغلق.....
24	صَبَابُ الْقَهْوَةِ.....
32	كان خيالي.....
44	عليك أن تصنع وقتك المناسب.....
58	خيالٌ أم حَقِيقَةٌ؟.....
73	اليومُ الَّذِي اختلفَ بعده كلُّ شيء.....
85	فقدانُ الشُّغفِ.....
92	أرجوك... لا تتغيّر.....
102	فكّر... قبل أن تحكّم على الآخرين.....
115	بعد كلِّ عُسر... يُسر.....
124	الصّدمة.....
135	الإدراك... هو أوّل الخطوات.....
146	أبعادُ القرار.....
157	ريستريتو.....
170	بخير جدًّا.....
180	المقهى مفتوح.....
190	الرسائل.....

عزيري القارئ... قبل أن تبدأ بالقراءة...

أريدك أن تعرف أولاً أن هذه الرواية كتبت لك بحب
وشغف...

أنا لا أعلم ما هو السبب الذي جعلك تفتني هذا
الكتاب... ربما قد شدك الغلاف أو الاسم أو الوصف...
أو ربما رأيت إعلاناً عنه... أو قرأت إصداراتي السابقة
وأصبحت مهتماً لتقرأ جديدي... وربما يكون هناك سبب
آخر يخصك...

لكن المهم... إنني أجزم لك بأنك لن تخرج من هذه
الرواية مثلما دخلت إليها...

ولن أشرح لك الأسباب الآن، فقد تكون أسبابك مختلفة
ومميزة، وقد تقرأ الرواية من زاوية مختلفة عن أي
شخص آخر...

فكما قال أحدهم: "حتى الذين يقرؤون نفس الرواية،
لا يقرؤون نفس الرواية".

قراءة مميزة
صفا فاضل

لقد قرأنا الكثير من كلام الغزل والشعر في جمال
وحب القهوة، ولن أزعجك بالمزيد منه... ولكن لباريسَنا
هذه الرواية يوجد رأي آخر؛ فسيجعلك تستشعر ذلك
الحب بنفسك دون الحاجة لأن يسرد لك صفحات من
الخواطر والاقتراسات...

مقهى اللانهاية



Coffee	قهوة
Mocha Latte	موكا لاتيه
Caramel Latte	كaramel لاتيه
Americano	أمريكانو
Mocha	موكا
Sweets	حلويات
Tramiso	تراميسو
Sweet infinity	حلوى اللانهاية
spical cake	كعك مميز





المقهى مُغلق

كنت كلما يأتي الليل، ويذهب الموظفون إلى بيوتهم، أُعلق لوحة "المقهى مغلق" على الباب، وأدخل إلى مكتبي لأقوم بحساب مدخول اليوم وأخطط كيف سأرفع المبيعات غدًا، وأحيانًا كنت أبيت أو أسهر في المقهى حتى الصُّباح، بصراحة كنت أجد راحتي هناك أكثر من المنزل، فهناك لا أحد ينتقدي طوال الوقت، ولا أحد يرمي التلميحات ليتعمد تجريحي كما يحدث معي في المنزل.

الدكتور نزار: حسنًا ومتى بدأت معك الهواجيس؟
خليفة: بدأت بعدما اعتدتُ النُّوم باستخدام أقراص المنوّم.

الدكتور نزار: لماذا كنت تستعمل أقراص المنوّم؟
خليفة: بصراحة، كانت فترة شديدة الضغوطات... لم أكن قادرًا على النُّوم لأكثر من أسبوع، كنت أشعر بأني سأجنُّ من كثرة التعب والإرهاق، ورغم هذا لم أتمكن من إغماض عيني، ثم اقترح عليَّ أحد أصدقائي أقراصًا



مُنومةً لُتساعدنِي، ولكنني لم ألتزم بالحد الأقصى من الجرعة، كنت آخذها كل يوم... لشهور، حتى ذلك اليوم الذي أكملت العلبة الرَّابِعة من الأقراص وذهبت إلى الصَّيدلية لشراء علبة جديدة، ثم قال لي الصَّيدلي إنها نفدت، جُننت ليلتها، عدت إلى المقهى، وبقيت أحاول النَّوم بشتى الطُّرق لكن عينيَّ لم تغمُضاً أبداً، ثم...

الدُّكتور نِزار: ثم ماذا؟ أكمل...

خَلِيفَة: ثم رأيتها.

الدُّكتور نِزار: رأيت من يا خَلِيفَة؟

خَلِيفَة: رأيت (خيال).

الدُّكتور نِزار: ومن خيال؟ هل هي فتاة؟

خَلِيفَة: نعم... هي أغرب فتاة رأيتها على الإطلاق، تدَّعي بأنها ليست من الإنس... ولا من الجن أيضاً.

الدُّكتور نِزار: هل كانت هذه أول مرَّة تراها بها؟

خَلِيفَة: نعم... حيثما كنت أحاول الدَّخول في النَّوم في مكثبي في المقهى، كانت تقف خلف نافذة المكتب... وكانت تبسِّم لي ابتسامَةً مرعبة.

الدُّكتور نِزار: وماذا فعلت أنت عندما رأيتها؟

خَلِيفَة: لم أصدِّق ما رأيته أول مرَّة.

الدُّكتور نِزار: تعني أنك رأيتها أكثر من مرَّة؟



خَلِيفَةَ: نعم، كنت أراها في الليالي التي ينساني النوم بها، في البداية كانت تنظر لي من بعيد فقط، ولكن بعد فترة أصبحت أراها داخل مكتبي وفي غرفتي تجلس أمامي، تُحدِّق بي وتبتسم ابتسامة تدخل الدُّعر إلى قلبي، وبعدها أصبحت تتحدث معي، وبعدها بفترة فقدت السيطرة، وأصبحت تحدثني في كل وقت...

الدكتور نزار: عن ماذا كانت تتحدث؟

شَرِدْتُ بفكري قليلاً... تذكرت كل لحظاتها معاً، تذكرت عندما كنت أتعمد أخذ جرعة زائدة من أقراص المُنوم كي أنام جيداً وأتجنب رؤيتها، ولكنها كانت تنجح في إيقاظي من نوم عميق، كان تأثيرها عليّ مثل لعنة السحر الأسود عندما يدمر الإنسان فجأة دون سابق إنذار، كالقوى الحاقدة، تضعفني وتؤذيني باستمرار ولا أعرف كيفية التحرر منها، تحولني من رجل مستقر وهادئ إلى شخص عصبي ومنفعل كالثور الهائج، دمعت عيناى قهراً دون أن أشعر، ثم وضعت يدي سريعاً على عيني لأخفي دموعي...

الدكتور نزار: هل تحتاج إلى بعض الوقت؟

خَلِيفَةَ: نعم، سأذهب إلى دورة المياه قليلاً، أستأذنك.

دخلت مسرعاً إلى دورة المياه وأخذت أغسل وجهي بالماء البارد، ثم رفعت رأسي لأرى نفسي في المرأة،



رأيت عيني الكحيلتين الذابلتين اللتين تملأهما الهالات بسبب قلة النوم، وشعري الأسود الكثيف الذي قلت كثافته وأصبحت تظهر به حُصلٌ من الشَّيب رغم صغر سني من شدة القلق والتوتر، وشعر ذقني المبعثر الذي لم أحلقه منذ فترة طويلة، وكتفي اللتان اعتدت على عرضهما وثباتهما ولكنهما الآن نحيفتان كجسم فتى مُراهق، تأملت مظهري المُثير للشَّفقة، ثم أخذت أغسل وجهي بالمزيد من الماء البارد محاولاً استعادة ثباتي واتزانِي، رفعت وجهي للمرأة مرة أخرى، وإذا بي... أراها... أرى خيالاً! التي تسببت بكل هذا، رأيت انعكاسها خلفي في المرأة، وما إن التفتُ... حتى اختفت، صرخت وضربت يدي على المرأة بقوة مما أدى إلى انكسار المرأة وإصابة يدي، بكيت... بكيت بحرقة على حالي، ما الذي يحدث بي؟ هل جنت؟ هل ما أراه حقيقياً؟

دخل الدكتور نزار بعدما سمع ضربتي على المرأة، كانت علامات الدهشة واضحة على وجهه، ثم أخذ حقيبة الإسعافات الأولية مسرعاً، وأخذ يُضمّد يدي.

الدكتور نزار: ما الذي حدث يا حَلِيفَة؟ هل رأيتها؟
هزرت رأسي إيجاباً وأنا أنظر إليه بعينين مُغرورقتين
بالدموع...

الدكتور نزار: حسناً قُم معي الآن، هيا إلى مكتبي...



أعطاني الدكتور كوبًا من الماء البارد بعدما ضمّد الجرح الذي بيدي وطلب مني أن أعمل بعض تمارين التنفس كي أهدأ وأستطيع الإكمال، لكنني سرعان ما شعرت بالنعاس والإرهاق الشديد بسبب عدم خلودي للنوم لمدة يومين مُتواصلين، طلب مني الدكتور أن أذهب لأرتاح وأعود له في اليوم التالي...

ذهبت إلى المنزل ونمت نومًا عميقًا جدًّا، ورأيت منامًا جميلًا، رأيت نفسي وأنا صاحب أكبر مقهى في أبوظبي، وأملك فروعًا عديدة منه، رأيتني وأنا أقصُّ شريط كل فرع جديد أقوم بافتتاحه، وزبائني يأتون من كل الإمارات والبلدان، كانت تقام الفعاليات والمناسبات مثل تجمعات شهر رمضان المبارك والأعياد واحتفالات العيد الوطني، وكانت أكبر الشركات تعقد اجتماعاتها الكبيرة في مقهى، حتى إن بعض التجار مثل تجار العطور والأزياء كانوا يستأجرون زُكناً في المقهى لكثرة الزبائن فيه، ليقوموا بعرض منتجاتهم. وليس هذا فقط، بل كان زبائن المقهى يقومون بتصويري عبر وسائل التواصل وأنا أزيّن أسماءهم على أكواب القهوة ببعض حركاتي الاستعراضية التي أفعها وأنا أصنع قهوتهم، حتى أصبحت معروفًا بلقب "الباريسستا الفنّان" ...

يا له من حلم رائع!

فَتَحْتُ عَيْنِي ...



وكانتا ثقيلتين جدًا ...

لكنني في مكان لا أعرفه، ليست غرفة نومي، أسمع أصواتًا غريبة، تشبه أصوات جهاز نبضات القلب، يبدو أنني كنت نائمًا في المستشفى، ماذا حدث؟ هل أُغْمِيَ عليَّ وأنا خارج من عيادة الدكتور نزار؟

أخذت أتلقّت حولي، لكنني لم أجد أحدًا، عجيب! لماذا لا يوجد أحد من أهلي معي طالما أنني كنت مُتعبًا وبتُّ في المستشفى؟ أم أن الدكتور نزار لم يخبرهم؟

حاولت أن أنادي الممرض أو الطَّبيب أو أي شخص لكنني لم أستطع إخراج أي صوت، أشعر وكأنني لم أتكلّم منذ زمن طويل جدًا، ولكن الحمد لله ما هي إلا دقائق معدودة حتى وجدت الممرضة تدخل الغرفة للاطمئنان عليّ...

ولكنني تفاجأت بحماس الممرضة عندما رأته، ذهبت مسرعةً لتُنادي الطَّبيب، ويبدو أنهما كانا مُندهشَيْن جدًا برؤيتي مستيقظًا... ما خطبهما؟

وما هي إلا فترة زمنيّة قليلة جدًا من بعد حلمي الجميل الذي جعلني أستيقظ وأنا بمزاج جيد، حتى علمت بأنني لم أكن أحلم، ولم أكن نائمًا أيضًا، استطعت معرفة الحقيقة من حديث الأطباء حولي وهي أنني كنت في غيبوبة، كيف لي أن أصدقهم وأنا أشعر بأنني في أفضل حال، ما الذي يتحدثون عنه؟



ظلت أنظر لهم باستغراب منتظراً شرحاً لما يحدث...

الطبيب: كيف حالك يا خليفة؟ أخبرني بماذا تشعر؟
خليفة: أنا بخير ولا أشعر بشيء، ما الذي حدث؟ هل
فعلاً كنت في غيبوبة؟

الطبيب: سأخبرك بكل شيء، لكنني أريدك أن تبقى
مُسترخياً ولا تقلق، فأنت الآن بخير وحالتك الصحية
تبدو ممتازة، وقمنا أيضاً بإخبار أهلك أنك استيقظت.

خليفة: صحيح، أين أهلي؟ كيف لهم أن يتركوني وحدي
في المستشفى؟

الطبيب: أثناء غيبوتك يا خليفة حدثت تغييرات كثيرة،
انتشر وباء في العالم يُسمى "فيروس كورونا" (كوفيد
19)، لقد مُنع النَّاس من الخروج من منازلهم للحد من
انتشار الوباء وأُغلق كل شيء في البلاد، وأهلك الآن
يطبقون القوانين، ولكنهم على تواصل دائم بنا للاطمئنان
على حالتك.

خليفة: ماذا! وماذا عن المقهى؟ هل أُغلق أيضاً؟
الطبيب: اهدأ يا خليفة، كل شيء على ما يرام، لا
أريدك أن تهتم بشيء الآن سوى صحتك، فأنت استيقظت
من غيبوبة دامت قرابة الستة أشهر.

خليفة: ستة أشهر!

الطبيب بحرص: أخبرني... ما هو آخر شيء تتذكره؟



خَلِيفَةَ: آخر شيء أتذكره هو أنني كنت في مكتب
الدكتور نزار.

الطبيب: صحيح، أخبرنا الدكتور نزار بأنك كنت
خارجًا من مكتبه قبل وقوع الحادث.

خَلِيفَةَ: لقد تعرّضتُ لحادث؟

الطبيب: نعم يا خَلِيفَةَ، تعرّضت لحادث قوي أدّى إلى
دخولك في غيبوبة، وبصراحة استيقاظك اليوم بالنسبة
لنا معجزة طبية، ظننا أنك لن تستيقظ.

خَلِيفَةَ: لكنني كنت أظن بأني نائم، وكنت في حلم جميل
جدًّا، حلم طفولتي الذي أحلم به كل يوم، ويخبرني والدي
أنه مستحيل.

الطبيب: سيتحقق كل ما تريده بإذن الله، لعل الله
جعلك تستيقظ اليوم لتذهب وتحقق أحلامك... والآن
سنقوم بعمل بعض الفحوصات لك للاطمئنان عليك أكثر،
وبعدها سأدعك تتحدث مع أهلِكَ عبر خاصية مكالمة
الفيديو ليروك ويطمئنوا عليك.



بعد أن حدّثت أهلي عبر أحد تطبيقات مكالمات الفيديو واطمأنّوا عليّ... طلبت منهم أن يدعوني أتحدّث مع أخي حمّد وحدنا...

خليفة: حمد، منذ أن قال لي الطّبيب عن الوّباء والحجر الصّحي وأنا لا أستطيع التوقف عن التفكير بالمقهى، سألتك بالله أن تخبرني الحقيقة، هل خسر المقهى؟ هل خيّبت ظنون (بُو جاسِم) كما كان يتوقع والدي؟

حمد: رغم أن الطّبيب حرص علينا بأن لا نُخبرك أي أخبار قد تزعجك، ولكني أعلم بأن بالك لن يهدأ حتى تعرف كل شيء... مقهاك ليس المشروع الوحيد الذي تأثر بالحجر الصّحي، خاصة وأنك لم تكن موجودًا لتُنقذ الوضع، حاولنا أنا ووالدي أن نقوم بفعل خطط بديلة ولكننا فشلنا... واضطررنا لإغلاق المقهى لنستطيع تسديد رواتب الموظفين الذين شكوا كثيرًا...

وضعت يدي على جبيني غير مُصدّقٍ ما سمعته... وماذا عن كل الجهد الذي بذلته في السنين الماضية؟ وماذا عن (بُو جاسِم) الذي آمن بي؟ وماذا عن توقعات أبي بفشلي الذي أصبح حقيقة؟



حمد: خَلِيفَة... خَلِيفَة... أَسْمَعْنِي؟

خَلِيفَة: أَسْمَعُكَ يَا حَمْدُ، شَكَرًا عَلَى صَدَقَتِكَ مَعِي
أَحْتَاجُ أَنْ أَذْهَبَ الْآنَ.

حمد: خَلِيفَة أَرْجُوكَ أَهْتَمُ بِصِحَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْ هَذَا
الْأَمْرَ يُؤَثِّرُ بِكَ، كُلُّ شَيْءٍ سَيَعُودُ كَمَا كَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَكَلْنَا
بِجَانِبِكَ.

أَغْلَقْتُ الْهَاتِفَ وَأَخَذْتُ أَحَاوِلَ الْإِتِّصَالِ بِالدَّكْتُورِ نِزَارٍ...

الدَّكْتُورُ نِزَارُ: أَلُو.. خَلِيفَة!! هَلْ اسْتَيْقِظْتَ؟

خَلِيفَة: نَعَمْ يَا دَكْتُورَ اسْتَيْقِظْتُ وَلَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ.

الدَّكْتُورُ نِزَارُ: لَا تَقُلْ هَذَا يَا فَتَى، الْمَهْمُ أَنَّكَ بِخَيْرٍ
وَصِحَّتِكَ جَيِّدَةٌ.

خَلِيفَة: صِحَّتِي جَيِّدَةٌ وَلَكِنْ مَقْهَائِي قَدْ أُغْلِقُ!

الدَّكْتُورُ نِزَارُ: لَيْسَ مَقْهَاكَ وَحْدَهُ، حَتَّى أَنَا عِيَادَتِي
تَضَرَّرْتُ بِسَبَبِ الْحَجَرِ الصَّحِيِّ وَاضْطَرَّرْتُ أَنْ أَغْلِقَهَا،
وَلَكِنِّي قَرَّرْتُ أَنْ أَوْاصِلَ الْعَمَلَ مَعَ عَمَلَائِي عَنْ طَرِيقِ
الْإِنْتَرْنِتِ إِلَى أَنْ تَعُودَ الْأُمُورُ كَمَا كَانَتْ.

خَلِيفَة: مَا الَّذِي حَدَثَ مَعِي يَا دَكْتُورَ، يَقُولُونَ بِأَنِّي

كُنْتُ خَارِجًا مِنْ مَكْتَبِكَ عِنْدَمَا تَعَرَّضْتُ لِحَادِثٍ؟

الدَّكْتُورُ نِزَارُ: هَذَا صَحِيحٌ، لَمْ تَكُنْ بِحَالَةٍ جَيِّدَةٍ عِنْدَ
خُرُوجِكَ، وَقَدْ عَرَّضْتُ عَلَيْكَ أَنْ أَوْصَلَكَ بِنَفْسِي إِلَى بَيْتِكَ
وَلَكِنِّي رَفَضْتُ بِشِدَّةٍ، عَلَى آيَةِ حَالٍ قَدْ حَدَثَ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ



والمهم أنك الآن بخير وقد استيقظت والحمد لله، كل
شيء آخر يتعوّض ... حتى المقهى.



صَبَابُ الْقَهْوَةِ

قبل ثلاث سنوات...

أبو حَمَد (والد خَلِيفَةَ): أنا لم أصرف كل تلك المبالغ على دراستك في الخارج لتأتينني بكل برود وتقول لي إنك لا تريد العمل معي في شركتي، لماذا رزقني الله بولدٍ مثلك؟ إنك فتى عاقٌّ؛ تُعانِدني في كل شيء منذ طفولتك! ليِّتْكَ أصبحت مثل أخيك الأكبر حمد، رافعًا رأسي في مجالس الرِّجال، بينما أنت دَفَنْتَ رأسي! ما هو شعورك بعدما جعلت أعدائي في التجارة "أبو شاهين وأبو عبد الله" يشمَّتان بي ها؟ أتعلم بماذا أصبحا ينعَتونني؟ بأبي صَبَابُ الْقَهْوَةِ!

وبَّخني أبي ورَماني بقارورة الماء البلاستيكية التي بيده وذهبَ غاضبًا إلى غرفته، نظرت إلى أخي حَمَد بوجه عابس يأسًا من توبيخات أبي الذي لا تنتهي...

حمد: خلاص يا خَلِيفَةَ، إلى متى ستظل تلاحق أحلامك السَّخيفة، أخبرني كيف ستتزوج براتب الباريسِتا هذا الذي لا يصل حتى إلى خمسة آلاف درهم؟ من العائلة



الَّتِي سَتَقْبَلُ أَنْ تَعْطِيكَ ابْنَتَهَا وَالرَّجَالَ يَنْعَتُونَكَ بِصَبَّابِ
الْقَهْوَةِ؟ إِذَا كُنْتَ لَا تَرِيدُ الْعَمَلَ مَعَ أَبِي لَا بِأَسْ بِذَلِكَ،
سَأَبْحَثُ لَكَ عَنْ وَضَيْفَةِ أُخْرَى، وَلَكِنْ أَرْجُوكَ فِكْرَ فِي
مَسْتَقْبَلِكَ، أَنَا مَعَكَ لَسْتُ ضِدَّكَ يَا أُخِي.

قَالَهَا وَهُوَ يُطْبِطِبُ بِيَدِهِ عَلَى كَتْفِي، ثُمَّ ذَهَبَ، وَبَقِيَتْ
أَنَا مَتَمَسِّكًا بِحَلْمِي وَحَدِي، لَا يَهْمُ إِنْ كَانَا لَا يُؤْمِنَانِ بِهِ،
الْمَهْمُ أَنِي أَوْمِنُ بِهِ.

وَجَدْتُ نَفْسِي فِي مَوْقِفٍ لَا أَعْلَمُ إِنْ كُنْتُ سَأَخْرُجُ مِنْهُ
بِقُوَّةٍ وَإِصْرَارٍ أَمْ سَأَسْتَسَلِمُ لِرَغْبَاتِ وَالِدِي وَسَأَرْضُخُ
لِضَغُوطَاتِهِ عَلَيَّ، بَقِيَ وَالِدِي يِعَايِرُنِي فِي كُلِّ حِينٍ عَلَى
وَضَيْفَتِي، فَكُرْتُ كَثِيرًا... كَيْفَ أَجْعَلُهُ فَخُورًا بِي وَأَحَقِّقُ
حَلْمِي فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ وَأَثْبِتُ لَهُ أَنِي رَجُلٌ نَاجِحٌ يُعْتَمَدُ
عَلَيْهِ، مَا هُوَ الْحَلُّ يَا تَرِي؟



كنت جالسًا في أحد المقاهي التي تطل على شاطئ
”جزيرة السّعديات“ في مدينة أبوظبي الجميلة، أسرح
بفكري بعد كل بضعة ثوان، وأتأمل الباريسا الخاص في
المقهى الذي أجلس به، كان يجلس معي صديقي خالد
وهو صديق قديم لي منذ أيام الثانوية العامة، شاب
”فَزَعَة“ وأثق به جدًا، رأني مهمومًا وبقي يسألني عما
بي، ترددت في إخباره عمّا أواجه، خفت أن أبوح له عما
بداخلي فيظنّ أنني ضعيف ولا أستطيع مواجهة عائلتي،
قررت ألا أتكلم في البداية، ولكنه أصرّ على أن أفتح له
قلبي، ترددت ثم استسلمت لرغبته وأخذت أحكي له ما
حدث اليوم بيني وبين والدي بعدما علم عن وظيفتي
الجديدة كباريسا في أحد المقاهي.

خالد: أعلم أن هذا شغفك والشيء الذي تستيقظ كل
يوم لعمله كما تقول وأنا معك يا صديقي، لكن من
الطّبعي ألا يتقبل والدك وظيفتك، فهي وظيفة بسيطة
جدًا بالنّسبة لمستوى عائلتك الاجتماعي وشهادتك
الجامعية، ويجب عليك أن تكون واقعيًا ومتوقعًا لأبعاد



قرارك هذا، فمن المتوقع أن تتعرض للانتقاد في مجتمعنا غير المنفتح للاختلاف مع الأسف.

وبعد حديث طويل... اقترح عليّ خالد أن أقوم بإنشاء مشروع، ولم لا؟ لم لا أفتح مقهى خاصًا بي وأضرب عصفورين بحجر... منها أحقق حلمي وأستمرّ بممارسة شغفي والعمل كباريستا، ومنها أرفع رأس أبي بكوني صاحب مشروع. ساعدني خالد الذي يفهم في زيادة الأعمال، وعلّمنا دراسة الجدوى وخطة المشروع معًا، وقررت أن أستعمل نصيبي من وراث جدي الذي كان مَرَكُونًا في حسابي البنكيّ لسنوات عديدة كرأس مال للمشروع، سهرنا طوال الليل لعمل خطة متكاملة حتى أصبحت جاهزة للبدء بالتّنفيد.

عدت إلى المنزل صباح اليوم التالي وذهبت مسرعًا إلى والدي وأخي حمّد بكل حماس لأخبرهما، كانت العائلة كلها متواجدة على مائدة الفطور: أبي، أمي، أخي الأكبر حمد، وأختي الصّغرى سُميَّة.

دخلت بكل حماس، وضعت الأوراق على الطّاولَة وأخذت أشرح لهم خطتي.

أم حمد: عيني عليك باردة يا خَلِيفَة، وفقك الله يا حبيبي!

أبو حمد: عينك باردة على ماذا، على الخطة السّخيفة

هذه!



خَلِيفَةَ: ولكنني عملت عليها طوال الليل! وخطّطت لكلّ شيء، مكان المقهى، شكله، من أين سأأتي بالبن والموارد، رأس المال، و...؟!

أبو حمد: رأس ماذا؟

خَلِيفَةَ: رأس المال يا أبي...

أبو حمد: ومن أين لك بالمال وأنت حتى لا تعمل في وظيفة قيّمة؟

خَلِيفَةَ: لدي وِراث جديّ.

أبو حمد: ألم تصرف نصيبك من وِراث جدك حتى الآن؟
خَلِيفَةَ: لا، لقد كنت أحتفظ به لأشتري مركبة أحلامي "الرنج روفر"، ولكنني غيرت الخطة الآن، المشروع أصبح أولويّتي.

أبو حمد: ولكن هذا المال ليس من حقك! إنه لي أنا، لقد صرفت عليك الكثير لتدرس المالية والمحاسبة في أقوى الجامعات بالخارج، استثمرت بك كي تعمل معي في شركة العقار الخاصة بي وتفيدني، وبما أنك لن تعمل معي الآن، فأنا أريد استعادة أموالني!

خَلِيفَةَ: ولكن يا أبي كيف سأفتح مشروعًا كهذا دون رأس مال!

أبو حمد باستهزاء: اجمع المال من وظيفة صّبّاب القهوة. قام أبي من الطاولة بانفعال وخرج من المنزل، ذهب



خلفه حمَد مسرعًا كي يذهبًا سويًا إلى الشركة.

وضعتُ يدي على رأسي مَهْمومًا، ماذا سأفعل الآن؟

أم حمد: لا بأس يا ولدي، أنت دائمًا تجد الحلول، وأنا متأكدة بأنك ستجد حلًا هذه المرة أيضًا.

سُميَّة: لا تزعل يا خَلِيفَة أرجوك.

عدت إلى غرفتي، شغلت المكيف، أغلقت الستائر وعطّطت في نوم عميق، هذا ما أفعله في كل مرة تُغلق الأبواب في وجهي...

ولكن رنين هاتفي المستمر لم يمكنني من الاستمرار في النوم، حيث كان صديقي خالد يريد الاطمئنان عليّ بعد أن أرسلتُ له رسالة نصية أخبره بها عما حدث عبر تطبيق "الواتساب"، أجبت على اتصاله بصوت يمتلئ باليأس، وأنا مُستلقٍ على سريري.

خالد باستغراب: نائم!!

خَلِيفَة: وماذا عليّ أن أفعل، فكلما حاولت المَجيء بأفكار ترضي والدي... أفضل ولا يعجبه شيء.

خالد: أنت تعلم بأن والدك يفعل كل ذلك كي يضغط عليك للعمل معه في شركته، لا تكن أحممًا وانهض لنفكر بحلٍّ آخر نأتي به برأس المال.

خَلِيفَة: هل تفكر بأن آخذ قرضًا؟

خالد: لا، بل لدي فكرة أفضل، سأعرفك على رجلٍ



طَيَّبَ فِي الْمَسَاءِ بَعْدَ أَنْ أَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِي .

خَلِيفَةَ: مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟

خَالِدٌ: سَتَعْرِفُ لَاحِقًا .

وبالفعل، ذهبت مع خالد في المساء إلى أحد مجالس الرجال، كان هناك رجل كبير في السن، قصير القامة، مُجَعَّدُ الْوَجْهِ، ويملك بطنًا كبيرًا... يجلس مع آخرين من الرجال المُسْتَيْين وهم يتناولون القهوة العربية، ألقىت التحية على الرجل الكبير بكل احترام، ثم قال لي: "متى ستُعَدُّ لي القهوة يا فتى؟". ظَنَنْتُهُ يسخر مني في بداية الأمر وأخذت أنظر إلى خالد مستغربًا لما أتى بي إلى هذا الرجل؟، ثم طبَّطَبَ خَالِدٌ عَلَى ظَهْرِي مُشِيرًا إِلَيَّ لِأَجِيبَ الرَّجُلَ الْمُسَنَّ، قلت له راضحًا: "متى ما أردت ذلك يا عمي". أكمل: "سمعت عنك الكثير في مجالس الرجال الذين ينعنونك بصباب القهوة، ما الذي جعلك تختار بأن تعمل في هذه الوظيفة رغم شهادتك الجامعية وكونك ابن رجل أعمال معروف؟". قلت له بتردد: "إنه شغفي يا عمي". نظر إلي باستغراب وهو يقول: "شغفك؟". قلت له: "هو الشيء الذي أستيقظ كل صباح لأجله، وهو الشيء الذي لا أمل عملة، وسأظل أعمل به حتى لو كان لا يدر لي المال". ابتسم الرجل ثم قال: "وإن قلت لك بأني سأحقق لك حلمك؟". قلت له باندفاع: "كيف؟". قال: "أنا رجل أعمال ذو خبرة طويلة، وكما



تراني الآن، أصبحت كبيرًا في السن ولا أستطيع العمل مثل السابق، ولكني أرغب باستثمار أموالني، وقررت منذ فترة أن أدمع الشباب الطموحين أمثالك، الذين يملكون ما لا أملك... القدرة على العمل والجسد الصغير القوي، ويفتقرون ما أملك وهو المال، إذا كنت ترغب بذلك، سأدخل معك في مشروعك كشريك صامت، سأعطيك رأس المال الذي تحتاجه، وسأخذ منك أرباحي في نهاية كل شهر دون أن أتدخل بأي شيء، فكر جيدًا وأخبرني إن كنت موافقًا. قلت له بسرعة: "أنا موافق". ابتسم وقال: "هذا ما كنت أتوقعه، وإيماني بفتى طموح مثلك عال جدًا، خذ بطاقة العمل الخاصة بي، وتواصل مع مساعدي كي تقوموا بالإجراءات اللازمة، وفقك الله يا بُني!".

أخذت بطاقته بكل حماس، كانت تحمل اسمه (بُو جاسم) وأرقام التواصل والبريد الإلكتروني وغيره، وقمت فورًا بأخذ الخطوات اللازمة، وشكرتُ صديقي خالد على مساعدته الدائمة ودعمه لي، كنت أشعر بأن رغم التحديات التي تواجهني ورغم يأسني إلا أن الله دائمًا يرسل لي الحلول كي أستمر في السعي، وكأنه لا يريدني أن أستسلم أبدًا.



كان خيالي

الحاضر...

بقيت في المستشفى لعدة أسابيع لإعادة تأهيلي للمشي والحركة بعد الغيبوبة وللعلاج من آثار الجرعات الزائدة من أقراص المُنوم التي وجدوها في دمي عند وقوع الحادث، وبعدها خرجت من المستشفى بعد أن رخصني الطبيب وتأكد بأن صحتي جيدة وتسمح بالخروج، كانت الدنيا مختلفة جدًا، وكأني دخلت إلى عالم جديد، الشوارع فارغة والكمامات في كل مكان، ولا يجوز للبشر التواصل الجسدي الطبيعي كسلام اليد الذي نُؤجر عليه عادة، كيف للحياة أن تتغير رأسًا على عقب بهذا الشكل...!٩

دخلت المنزل... شعرت بمشاعر حنين غريبة عند دخولي، خاصة بعدما شَممتُ رائحة البخور الخاصة بمنزلنا التي لم تتغير منذ طفولتي، وكانت عائلتي فرحة جدًا بقدومي، كنت أرى الدموع واضحة في أعين أمي وهي تُزغرد فرحًا، وأختي سُميَّة التي جرت إليّ واحتضنتني بقوة منذ أن رأته، وأبي يرحب وأخي يهَلل،



وحتى عاملات المنزل كنَّ فرحات جدًّا بقدومي بالسَّلامة
رغم أنه لا تربطني بهم أي صلة رحم، ولكنني استغربت
وجود ابنة عمي مُهَرَّة في المنزل...

خَلِيفَة: مُهَرَّة! ماذا تفعلين هنا ألم يمنعوا الزَّيَّارة؟

نظر الجميع إلى بعض بنظرات مُتورِّطة...

حمد: أخي خَلِيفَة، في غيابك حدث الكثير مثلما
تري... ومُهَرَّة الآن أصبحت زوجتي.

خَلِيفَة: ماذا؟! تزوجت وأنا في غيبوبة! ولم أحضر
زفافك! لم أحضر زفاف شقيقي الوحيد!

حمد: اهدأ يا خَلِيفَة أرجوك، نحن لم نُقم حفل زفاف،
لقد كان عقدَ قران عن بُعد "عبر الإنترنت"، ثم قمنا
بعشاء صغير بيننا وأتت مُهَرَّة لتسكن معنا؛ لأن حفلات
الرِّفَاف قد منعت، وقاعات الرِّفَاف قد أغلقت.

خَلِيفَة: ولكن كيف؟ هذا يوم مميز للغاية كيف له أن
يُقام بهذا الشكل البارد!

حمد هامسًا في أذني: لقد وقَّرت الكثير من التكاليف،
أنصحك بأن تستغلَّ الفرصة وتتزوَّج الآن.

نظرت له باستغراب، كيف له أن يفكر بهذه الطَّريقة
السَّطحية، بالرَّغم من أنه شقيقي، وكنا نتشارك نفس غرفة
النُّوم لسنوات طويلة، إلا أننا مختلفان جدًّا في التفكير، هو
تقليدي جدًّا مثل والدي، وكأنه نسخته المصغرة.



صعدت إلى الطابق العلوي ووجدت بعض التغييرات في تقسيمة المنزل، فحمد أصبح له جناح خاص، وغرفتي قد تغير مكانها، لم أهتم لهذا، دخلت إلى غرفتي التي لم يتغير أثاثها البسيط، وحتى لوحة رمز اللآ نهاية التي كنت أضعها فوق سريري ما زالت في مكانها الطبيعي، استلقيت على سريري المريح الذي يتسع لشخصين، وفتحت جهاز الـ "Ipad" الخاص بي، ثم أخذت أنظر إلى فواتير المقهى، لقد تم بيعه بخسارة! لم أكن قادرًا على التعبير رغم الحزن الشديد الذي كنت أشعر به، أشعر بخيبة كبيرة جدًا، لا أستطيع التصديق بأن والدي وحمد لم يقدرًا على إدارة مقهى وهما يديران شركة عقار كبيرة، فقد كان واضحًا لي بأن الأمر مقصود، حتى وإن كانت الظروف الآن مختلفة مع الحجر الصحي، كان بإمكانهم الطلوع بأي فكرة كالتوصيل للمنزل أو غيرها من الأفكار التي قامت بتطبيقها مشاريع القهوة الأخرى، لكنني أعلم بأن والدي قد وجدها حجة كي يتخلص من حلمي الذي يكرهه...

استمررت في التمرير في ألبوم الصور على جهاز الـ "Ipad" طوال الليل، رأيت رحلتي إلى أفريقيا عندما ذهبت لأشتري مختلف أنواع "البن" والتأكد من جودته بنفسه قبل أن آتي به إلى المقهى، كنت أذهب إلى المزارع وأرى كيف يقومون بحصاد ثمار البُن بعد زراعتها،



ومن ثم تجهيز الثمار وتجفيفها، وكيف يتحول البن من كونه ثماراً زهرية اللون إلى حبوب خضراء بعد أن يقوموا بتقشيرها وتصفيتها وترطيبها وتجفيفها، ثم يدخلونها مرحلة التخميص لتتحول من حبوب البن الخضراء إلى حبوب بُنية عطرية ذات نكهة ورائحة قوية. وأتذكر أن مرحلة التخميص كانت مرحلتي المفضلة، حيث كنت أستمتع جداً بعد أن تخرج حبوب البن البنية فأشتم رائحتها الشهية وأذوقها واختيارها.

وجدت أيضاً صوراً لي أنا وصديقي خالد الذي ساعدني في مرحلة تجهيز المقهى وعمل دراسة الجدوى وخطة التسويق من الألف إلى الياء، كنا نسهر طوال الليل في مجلس منزل خالد، نخطط ونعمل على هوية المقهى... حيث اخترت له اسم اللانهاية المعروف بـ "infinity"، فقد كنت دائماً أشعر بأن شغفي في عمل القهوة لا نهاية له مهما حاول الجميع صرف نظري عنه، وقد اخترت رمز "اللانهاية" متساقطة منه حبوب القهوة ليكون شعاراً لمقهي، ليشعر جميع من يدخل المقهى بأن لذة قهوتنا لا نهاية لها، وقد اخترت اللون الزهري الكرز واللون الأخضر واللون البني لتكون ألوان هوية المقهى وتعبّر عن مراحل حبوب البن وتحويلها من كونها زهرية كالكرز إلى حبوب البن الخضراء ثم إلى حبوب البن البنية العطرية التي يعرفها الجميع، ولأن دورة حبوب



البنّ هذه هي كحبي للقهوة لا نهاية لها. وقمنا أيضًا بإنشاء حسابات التواصل الاجتماعي الخاصة بنا والعمل عليها لنظهر بمقهى مميز بين كثرة مشاريع المقاهي الموجودة في السوق حاليًا، كانت ذكريات جميلة جدًا...

وفي صباح اليوم التالي... لم أكن قادرًا على النهوض من فوق السرير وبقيت نائمًا حتى الظهيرة، مما أثار قلق أمي وجاءت للاطمئنان عليّ...

أمي وهي تفتح ستائر الغرفة: هيا يا حبيبي استيقظ لقد أصحبت الساعة الواحدة ظهرًا وعاملات المنزل قد بدأت في تجهيز وجبة الغداء، وأنت لا تزال نائمًا!

كنت أنظر لها بطرف عين، وأنا ملتفتٌ بغطاء السرير...

أمي: ما بك يا حليفة؟

حليفة: أشعر بثقل شديد، لستُ قادرًا على النهوض.

وضعت أمي يدها على جبيني لتقيس حرارتي، ولسبب ما انهمرت دموعي منذ أن شعرت بقربها مني، طلبت منها أن تضمّني إلى صدرها، شعرت وكأنني طفل من جديد، تائه لا أعلم كيف يجب عليّ التصرف... بقيت أمي تمسح على رأسي بيدها وأنا مُستلقٍ في حضنها حتى هدأت.

لم تتطرق أمي بكلمة سوى الأذكار التي كانت تهمس بها، وهي تمسح على رأسي بيدها الدافئة، ثم قالت: "لا



تحزن يا بُني، لا يأخذ الله منك شيئاً تحبه إلا ليُبعد عنك
شراً لا تعلمه، وبالتأكيد.. إنه سيعوضك بشيء أحبّ إلى
قلبك“.

مضت الأيام... وفي تلك الفترة لم أكن أقوم بعمل أي
شيء، كنت عاطلاً عن العمل وكنت أشعر بأنني عالمة على
أهلي، فأنا رجل بالغٌ طويل عريض وليس لدي أي مصدر
دخل، والأمّر من هذا هو أنني محبوس في المنزل بسبب
إجراءات الحجر الصحي، مما كان يضطرني للبقاء مع
أهلي ورؤية أبي الذي كان يُدقني كلما رأني جُرعةً من
محاضراته المحبّطة التي لا فائدة لها، وكنت مضطراً
أيضاً على الجلوس مع نفسي كل تلك الساعات الطويلة
والتركيز بحواراتي الداخليّة الكئيبة، لم أكن قادراً على
تشتيت نفسي من مواجهة مشاعري تجاه ما حدث.



خلال دراستي الجامعية، كانت لي زميلة اسمها "دانة". كانت فتاة لطيفة وذكية جدًا في الدراسة، وكانت مميزة بغمّازتيها حين تبتسم وبشعرها الطويل البني الذي دائماً ما كانت ترفعه بتسريحة "ذيل الحصان"، وتضع نظارتها الطيبة على رأسها، كنا قريبين من بعض جدًا، ندرس سوياً ونأكل سوياً ونذهب إلى المحاضرات سوياً، كانت نسبة التفاهم والكيمياء بيننا عالية، فقد كانت تفهمني من عيني. وعندما تخرجنا من الجامعة وعدنا إلى البلاد، اعترفت لي ذات يوم بمشاعرها تجاهي، كنت متفاجئاً جداً من مصارحتها لي رغم أنني كنت أملك بعض المشاعر تجاهها أيضاً، ولكن تفكيري حينها كان محصوراً بالمستقبل والعمل، فأنا لن أخوض أي علاقة إلا إذا كنت جاداً ومتأكدًا من مشاعري تجاه الفتاة، فإني لا أحب العبث بمشاعر الفتيات كبعض الشباب، بل أخاف الله فيهن ولن أرض عليهن بما لا أرضاه على أختي سميّة. وفي ذلك الوقت كنت أعلم جيّدًا أنني لن أتزوج في الخمس سنوات القادمة حتى أكون نفسي، خاصة وأنني كنت خريجًا جديدًا ولستُ مُستعدًا لأي علاقة جادة بعد... قررت الاعتذار منها، كنت متوقعًا أن تتفهم وتحترم مصداقيتي



ووضوح معيها، لكنها تحسّست جدًّا من ردّة فعلي وأخذتها بشكل شخصي، كانت ردة فعلها مُبالغًا فيها تجاه الموقف وقامت بحظري من جميع وسائل التواصل الاجتماعي وابتعدت عني، لا أعلم ربما لم يكن أسلوبِي مناسبًا وجرحتها دون قصد مني... لكنني لم أنسها يومًا؛ فهي كانت من أقرب أصدقائي لي، وأحمل الكثير من الذكريات الجميلة والمشاعر الطيبة لها.

ولسبب ما... كانت تأتي علي بالي كثيرًا في فترة الحجر الصّحي؛ خاصة بعد أن تخلّصت من هواجيس "خيال" المزعجة... آه كم ارتحتُ عندما لم أعد أراها.

وبعد يومين... كنت أتصفح تطبيق "الإنستجرام"، وإذا بي أتلقّى رسالة عبر الخاص من دانة، سبحان الله وكأن تفكيري بها قد جرّها إليّ، أو إنه ما يُسمى "بالنّخاطر".

دانة: مساء الخير خَلِيفَة، ترددت جدًّا قبل إرسال هذه الرّسالة، ولكنني في مأزق، وأثق جدا بأرائك وأريد مساعدتك.

كنت أعلم جيدًا أنها ليست في مأزق ولا تريد مني أي شيء، هذه حركاتها المعتادة كلما أرادت الحديث معي، ولكنني تظاهرت بأنني لست كاشفًا لها وبقيت أسألها عن مشكلتها، بقينا نتحدث طوال الليل، كان شعورًا غريبًا، وكأننا لم نفترق لقرب الثّلاث سنوات، كنا نحتاج إلى



هذه المحادثة بشدة، ربما أنا أكثر منها، فقد اشتقت لمن يسمعي دون الحكم عليّ، ودون أن يلقي عليّ العديد من التّصائح الفلسفية، ودون أن يشعرني بالتعاطف لأنني في هذا الوضع الحرج، كم أكره شعور أن يتعاطف أحدٌ معي، كم يجرح كبريائي هذا الشعور... وكانت دانة تعرف جيداً كيف تشعرني بأنها معي وتشعر بي دون أن تمسّ كبريائي، كنت حقيقياً معها لأبعد حدّ.

وكان مجيء دانة كان في الوقت المناسب؛ لتخفف عني شعور الصدمة والخذلان الذي أشعر به بعد خروجي من الغيبوبة، وعلمي بإغلاق مقهاى.

وعبر مكالمة هاتفية بيني وبين دانة...

دانة وهي تُمازحني: قصّتك كأنها "أحلام العصر" يا خليفة، كيف يعني دخلت في غيبوبة، وخرجت والدنيا كلها مقلوبة رأساً على عقب!

خليفة ضاحكاً: أتعرفين، هذه أول مرة أضحك بها على نفسي، فعلاً حياتي أصبحت أشبه "بأحلام العصر".

دانة: أسمح لي بأن أسأل سؤالاً قد يُزعجك؟

خليفة: سَلِّي كل الذي تريد يا دانة.

دانة: ما الذي حدث لك حتى وقعت في غيبوبة؟

خليفة: هذه قصة طويلة.

دانة: ليس لدينا شيء، فنحن في حجر صحي لا



نستطيع الخروج من المنزل، أنت عاطل عن العمل، وأنا مطلّقة ولم أفعل أي تغيير في حياتي بسبب حالة الاكتئاب التي دخلت بها بعد انفصالي، ولم أبدأ بتجاوزها إلا قريباً .

خليفة: صدقتِ، حسناً سأخبرك بكل شيء... قبل سنة تقريباً من الآن كان وضعي مختلفاً تماماً، كنت أعيش أجمل أيام ازدهاري في نجاح مَقْهائي، فقد كان مَقْهائي لا يخلو من الرّبائن منذ الصّباح الباكر حتى المساء، وقد كان معروفاً بتقديم العبارات الإيجابية مع قهوة الصّباح للموظفين، وكنت أقدمها لهم بنفسي بكل حب.

دانة: كنت تنهض صباحاً كل يوم لتقدم القهوة؟

خليفة: صدقيني... أنت لا تعلمين حجم الحب التي كنت أشعر به عند نهوضي من سريري كلّ صباح.

دانة: وفي المساء، كنت تعمل في المقهى أيضاً؟

خليفة: كنت أُغلق المقهى بنفسي كل مساء، وأذهب إلى مكّتي الذي في المقهى لأحسب أرباح اليوم وأخطط كيف سأرفع أرباحي في اليوم التالي، كنت أفعل ذلك كل يوم حتى...

دانة: حتى ماذا؟

خليفة: لا شيء، أخبريني ماذا ستتناولين في وجبة

العشاء؟



دانة: حتى ماذا يا خَلِيفَة؟ أرجوك أخبرني.
خَلِيفَة بتردد: سأخبرك... لكنك ستظنين بأنني مجنون.
دانة مزامحة: أنا دائماً أظنُّ أنك مجنون، ما الجديد؟
خَلِيفَة ضاحكاً: أقنعتني، حسناً...

قبل وقوع الحادث ودخولي في غيبوبة... تحديداً في الفترة التي حقق فيها مَقَّهاي نجاحاً كبيراً، ابتعدت عن أهلي بسبب انشغالي بالمقهى وبسبب والدي، فقد كان يُلقي عليّ كلاماً قاسياً كلما رآني، ويشعرنني بالذنب إلى حدِّ لا تتخيلينه، فلم يكن سعيداً لنجاحي، بل كان يعامل نجاحي على أنه خيانة له، ممَّا سبب لي نُفوراً كبيراً منه ومن أهلي ومن المنزل بأكمله، لدرجة أنني في الفترة الأخيرة قبل دخولي في الغيبوبة... كنت أبيت في المقهى كل ليلة.

خنقتني العبرة عندما وصلت هنا في حديثي، سكت قليلاً لألتقط أنفاسي...

دانة: خَلِيفَة... خَلِيفَة... هل ما زلت على الخطِّ؟
خَلِيفَة: نعم نعم، أنا هنا.

دانة: حسناً أكمل، ماذا حدث بعدها؟

خَلِيفَة: مع ابتعادي عن أهلي، كان يزداد شعوري بالذنب تجاههم حيث كان كامل تركيزي على المقهى، وكنت مقصراً جداً معهم، بالإضافة إلى والدي الذي كنت



أَتَجَنَّبُهُ بِشَكْلِ كَامِلٍ؛ حَيْثُ لَمْ أَكُنْ أَحْتَمِلُ مَوَاجَهَتَهُ وَسَمَاعَ تَعْلِيْقَاتِهِ الْجَارِحَةِ أَكْثَرَ... كَانَتْ أُمِّي دَائِمًا تَتَّصِلُ وَتَعَاتِبُنِي عَلَى ابْتِعَادِي، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَيُّ ذَنْبٍ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَحْتَاجُ إِلَى ابْتِعَادِي عَنْهُمْ لِأَبْتَعِدَ عَنِ التَّجْرِيحِ وَالْإِحْبَاطِ الَّذِي كُنْتُ أَتَلَقَّاهُ مِنَ الْوَالِدِي، لَا أَكْذِبُ عَلَيْكَ... إِحْسَاسِي بِالذَّنْبِ... دَمَّرَنِي، صَحِيحٌ بِأَنِّي كُنْتُ أَنْشَغَلُ مَعَ الزُّبَّانِ وَتَقْدِيمِ الْقَهْوَةِ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَلَكِنْ بِمَجْرَدِ أَنْ يَنْتَهِيَ الْيَوْمُ وَأَذْهَبَ إِلَى مَكْتَبِي... كُنْتُ أَغْرَقُ بِشَعُورِي بِالذَّنْبِ وَلَوْمْ ذَاتِي.

دَائِمَةً: كَيْفَ يَعْنِي، إِحْسَاسُكَ بِالذَّنْبِ دَمْرُكَ؟
خَلِيفَةً: لَمْ يَكُنْ فَقَطْ إِحْسَاسِي بِالذَّنْبِ الَّذِي دَمَّرَنِي،
فَقَدْ كَانَ خِيَالِي...



عليك أن تصنع وقتك المناسب

اعتذرت من دانة قلت لها إني متعب، وسأخذ للنوم
وأغلقت الهاتف...

لكن الحقيقة أنني شعرت بالرغبة في البكاء، ولا
أستطيع البكاء أمامها فهي تراني رجلاً قوياً، ولا أعلم
لماذا لكن مجتمعنا يُحرّم بكاء الرجل رغم أنها وسيلة
تفريغ المشاعر الفطرية للجسد، ولكني منذ أن كنت
طفلاً وأنا كلما رغبت بالبكاء أسمع: "أنت رجل، والرجال
لا يبكون". حتى تعقّدت وأصبحت أبكي سراً؛ وكأني أقوم
بفعل أمرٍ خاطئ.

لا أعلم إن كنت مُتقبلاً لوضعي الحالي أم أنني أُعتبر
مكتئباً، ولكن الأكيد هو أنني لا أستطيع مواجهة ما قد
حدث لي، فكلما حاولت التحدّث عنه تخنقني العبّرة،
وأشعر بالرغبة بالهروب من الذكريات.

أخذت هاتفني النقال، وضغطت على أيقونة الاتصال،
ثم ضغطت على رقم كان يحاول الاتصال بي كثيراً وكنت
أتجاهله... رقم "الدكتور نزار"، والذي أعلم بأنه كان
يحاول الوصول لي من أجل مساعدتي، ولكني لست



مستعدًا للمواجهة، وجدت أيضًا رسالة نصية منه في تطبيق "الواتساب" يقول بها: "خليفة أرجوك طمّني عليك، أنا قلقٌ كثيرًا بشأنك، هل خرجت من المستشفى؟ هل أنت بخير؟".

يا له من رجل طيّب وشهم، رغم أنني حضرت عنده جلسة واحدة فقط، إلا أنه ما زال يسأل عني، قررت أن أقوم بالردّ عليه لأطمئنه على وضعي، كتبت له: "أنا بخير".

قام بالردّ عليّ خلال دقائق: "أعلم أنك لست بخير حتى ولو كنت تظنّ ذلك، لأن ما حدث لك لم يكن سهلًا، وأعلم أيضًا أنك تشعر بأنك لست مستعدًا لمواجهة الموقف، لكنك أقوى من أن يهزمك ما حدث يا خليفة".

لا أدري كيف عرف الدكتور نزار ما كنت أشعر به حقًا، ربما خبرته في المجال، أو ربما صدق نيّته في مساعدتي، أجبته برسالة أخرى: "أشعر بأن الوقت غير مناسب...". أجابني: "صدّقني لن تكون مستعدًا أبدًا، ولن يكون هناك وقت مناسب، يجب عليك أن تصنع وقتك المناسب بنفسك".

قمت بمعاودة الاتصال على دأنة لإكمال حديثنا بعد أن تلقّيت تلك الرسالة من الدكتور نزار، فحقًا... متى سيكون الوقت مناسبًا إن لم أقرّر أنا أن أجعله كذلك؟ ودأنة هي أكثر شخص يشعرنني بالراحة لفتح قلبي والبوح بما في



داخلي؛ لذلك قررت أن أحاول سرد ما حدث كبداية
لمواجهة نفسي ومشاعري...

دانة: مرحبًا خَلِيفَة، ألم تقل لي بأنك ستذهب إلى
النوم؟

خَلِيفَة: صحيح، ولكنني غيّرت رأيي، أريد أن أحكي لك
ماذا حدث بعدها، لكن أريدك أن تضعي بعين الاعتبار
أنه من الصعب علي البوح بما سأقوله لك الآن، لذا
أرجوك لا تحكمي علي ولا...

دانة مقاطعة: أنت تعلم جيدًا أنني دائمًا ما أفهمك،
أخبرني...

خَلِيفَة: حسنًا... كل شيء بدأ في ذلك اليوم... عندما
أصابني أرقٌّ شديد بسبب تملك مشاعر الذنب مني تجاه
والدي، كنت أشعر باستمرار بأني لا أستحق نجاح مَقْهاي
لأن والدي غير راضٍ عني، رغم اقتناعي التام بقراري في
إنشاء المقهى والعمل بما أحب، ولكن كانت لدي رغبة
مُلحّة أيضًا في إرضاء والدي وجعله يرى بأني أفضل من
أخي حمد، رغم أنني أيضًا أحب أخي حَمَد جدًا وأتمنى
له كل الخير، لكن منذ طفولتي وأنا تتمُّ مُقارنتي به، وكان
حَمَد دائمًا ينجح في جعل الجميع يظنُّ بأنه أفضل
مني... وكانت هذه الأفكار الوسواسية أقوى مني، لم أكن
أعرف كيفية التعامل معها، فقد كنت أكتفي بِنَشْتِيتِ



نفسي عنها طوال اليوم بالتركيز في العمل والذهاب إلى النادي الرياضي وغيره، ولكن حين يأتي الليل ويحين موعد النوم، كان صوت تلك الأفكار يرتفع في عقلي ويسرق النوم مني. بدأت مشكلة الأرق عندي تدريجيًا، في البداية كان يصعب دخولي في النوم ولكنني كنت أنام، ثم أصبح نمومي مُتقطَّعًا ولا أستطيع النوم بشكل كافٍ، ومن ثم أصبحت لا أستطيع الدخول في النوم أبدًا، مما جعلني أشعر بأنني سأجن، وقلّ أدائي في المقهى وفي روتيني اليومي تدريجيًا وقطعت الذهاب إلى النادي الرياضي بسبب قلة طاقتي، وأصبحت مزاجيًا جدًا وكسولًا وقد خفّ تركيزي بشكل ملحوظ. والحمد لله أن الله رزقني وقتها بموظفين مخلصين في مقهائي، فقد كان يعمل لدي باريستا يدعى "سيد" من جنسية آسيوية وكان محترفًا جدًا في إدارة المقهى في غيابي، هو أول من لاحظ التغيير في أدائي، وكان يُنبهني على أخطاء إدارية كنت سأقوم بارتكابها في المقهى وبفضل الله ثم فضل سيد نجا مقهائي من الخسارة في تلك الفترة، وفي يوم... قرر سيد أن يدخل إلى مكثبي ويطلب التحدث معي...

سيد: أنا لا أريدك أن تظن أنني أقوم بتجاوز حدودي معك، ولكنني لاحظت تغييرًا كبيرًا فيك في الفترة التي مضت، أنا معتاد على نشاطك وحماسك كل صباح وتركيزك العالي جدًا في إدارة المقهى، وقد لاحظت



أيضاً بأنك تبيتُ هنا في المقهى، ما بك يا سيد خَلِيفَةَ، هل لديك مشكلات؟ هل تحتاج إلى المساعدة؟

خَلِيفَةَ: أشكرك جداً يا سيد على اهتمامك، ولكن لا تقلق أنا بخير، إنني فقط أعاني من الأرق الشديد هذه الفترة؛ ولهذا السبب تلاحظ بأن تركيزي قد ضعف.

سيد: لم لا تأخذ أقراص المُنوم لتُساعدك على الخلود في النّوم؟

خَلِيفَةَ: كنت أحاول التّخلّص من مشكلة الأرق بشكل طبيعي، ولكن يبدو أنني فشلت، معك حقك سأذهب إلى الصّيدلية اليوم لشراء بعض أقراص المُنوم.

وبالفعل ذهبت إلى أقرب صيدلية في المساء، وقمت بتناول أقراص المُنوم، وخلدت في نوم عميق جداً، لدرجة أنني نمت على طاولة المكتب دون أن أشعر، استيقظت صباح اليوم التالي، وأنا نشيط وأشعر بحماس لم أشعر به منذ فترة، وشكرت سيد على اقتراحه...

ولكن بعد فترة...

اعتدت على أقراص المُنوم تلك، وأصبحت لا أدخل في النّوم إلا عند أخذها، كنت قد أدمنت على نَشْتِيتِ أفكاري طوال اليوم، ومن ثم تناول الأقراص في المساء وبهذه الطّريقة لا أشعر، ولا أفكر بأي شيء يزعجني.

إلى أن أتى اليوم الذي تناولت فيه آخر قرص في



عبوة أقراص المُنوم، وذهبت إلى الصيدلية لشراء عبوة أقراص جديدة كعادتي، قال لي الصيدلي بأن كميتها نَفَدَت، سألته: ”هل أجدها في أي صيدلية أخرى؟“. قال لي الصيدلي: ”بصراحة قد مُنِع بيع هذه الأقراص من دون وصفة طبية؛ لأننا بعد دراستها اكتشفنا بأنها قوية جدًا ولا نقدمها إلا لمن يُعاني من آلام شديدة جدًا تمنعه من النَّوم كالذين خرجوا للتو من عملية كبيرة وغيره، لذلك لن تستطيع الحصول عليها غير ذلك بعد الشر عنك، ولكن توجد لدي أقراص مُنومة أخفّ منها“. قلت له بسرعة: ”حسنًا أعطني أقراص المُنوم المتوفرة لديك“. وقمت بشرائها. قال لي الصيدلي: ”ولكن انتبه يا أخي لا تأخذها لأكثر من ثلاثة أيام لتُعيد برمجة ساعتك البيولوجية على النَّوم في وقت محدد، لأنك إذا أخذتها لأكثر من ذلك قد تُصاب بالإدمان ولن تستطيع النَّوم دونها وقد تضرك“. شكرته وخرجت دون أدنى اهتمام لنصائحها، وعدت إلى مكتبي وتناولت الأقراص بسرعة.

ولكن هذه المرّة...

لم أستطع النَّوم...

تقلّبت على أريكة مكتبي يُمَنَّةً ويُسْرَةً، ولم يزرني إغفاءٌ ولا وَسْنٌ ولا سِنَةٌ. قرّرت أن أعود إلى المنزل لربّما أريكة المكتب لم تُعد مريحة بالنسبة لي، استلقيت على سريري الذي هجرته منذ فترة، وغطّيت كامل جسدي بلحافي



النَّاعِمِ الْمُخْمَلِيِّ مَحَاوِلًا النَّوْمِ، وَلَكِنْ بِلَا فَائِدَةٍ...

ثم تذكرت كلام الصَّيْدَلِيِّ عَنِ أَقْرَاصِ الْمُنُومِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي اعْتَدْتُ عَلَيْهَا، تَسَاءَلْتُ فِي نَفْسِي: "رَبْمَا أَحْتَاجُ لَتَلِكِ الْأَقْرَاصِ ذَاتِ الْمَفْعُولِ الْقَوِيِّ كَيْ أُسْتَطِيعَ النَّوْمُ؟".

أَخَذْتُ أَبْحَثُ فِي مَحْرَكِ الْبَحْثِ فِي الْهَاتِفِ عَنِ أَقْرَاصِ الْمُنُومِ تَلِكِ الَّتِي اعْتَدْتُ عَلَيْهَا، وَبِالْفِعْلِ كَانَ كَلَامُ الصَّيْدَلِيِّ صَحِيحًا وَلَمْ أَجِدْهَا فِي أَيِّ صَيْدَلِيَّةٍ دُونَ وَصْفَةِ طَبِيبَةٍ، فَقَرَّرْتُ أَنْ أَقُومَ بِطَلْبِ جَمِيعِ أَقْرَاصِ الْمُنُومِ الْمَتَوَفَّرَةِ فِي الصَّيْدَلِيَّاتِ وَأَجْرِبُهَا كُلَّهَا حَتَّى أَجِدَ النَّوْعَ الَّذِي يُدْخِلُنِي فِي النَّوْمِ...

قَمْتُ بِتَجْرِبَةٍ أَكْثَرَ مِنْ نَوْعٍ خِلَالَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مُتتَالِيَةٍ، وَلَمْ أُسْتَطِعِ النَّوْمَ لِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ فِي اللَّيْلَةِ الْكَثِيرِ، أَصَابَنِي الصَّدَاعُ الْقَوِيُّ وَالْإِرْهَاقُ بِسَبَبِ قَلَّةِ النَّوْمِ، وَأَصْبَحْتُ عَصَبِيًّا جَدًّا لِدَرَجَةٍ أَنْي رَفَعْتُ صَوْتِي عَلَى أُمِّي دُونَ قَصْدٍ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِي عِنْدَمَا رَأَيْتَنِي وَعَاتَبْتَنِي عَلَى تَقْصِيرِي مَعَهَا وَمَعَ أَهْلِي...

قَرَّرْتُ الْعُودَةَ إِلَى مَكْتَبِي وَحَبَسْتُ نَفْسِي بَعْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ كَيْ لَا أَقُومَ بِأَذِيَّةِ شَخْصٍ آخَرَ دُونَ أَنْ أَشْعُرَ، كَانَ الْوَقْتُ حِينَهَا قَبْلَ الْفَجْرِ بِقَلِيلٍ حَسَبِ مَا أَتَذَكَّرُ، وَكَانَتْ لَيْلَةٌ مَاطِرَةٌ، جَلَسْتُ عَلَى مَكْتَبِي وَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى جَبِينِي مُسْتَاءً لِمَا يَحْدُثُ لِي، وَبَقِيتُ عَلَى هَذِهِ الْوَضْعِيَّةِ لِأَكْثَرِ



من ساعة، ثم سمعت صوت طرقٍ ناعمٍ على شبّاك
مكتبي...

”تك تك تك“.

تجاهلت الصّوت... ثم تكرر:

”تك تك تك“.

رفعت رأسي... وإذا بي أرى فتاة جميلة جدا تقف عند
شبّاك المكتب، كانت طويلة القامة ونحيلة، وكان شعرها
شديد السّواد قصيراً جداً مما يدعى بـ ”الشعر البوي“،
كانت عيناها واسعتين وشففتها صغيرتين جداً، وتعابير
وجهها ناعمة ولكنها جدّية، كانت ترتدي قميصاً أبيض
وتتوّرةً سوداء وسلسلة رمز ”اللا نهاية“ باللّون الفضي...





بقيت أُحدِّقُ بها بتعجُّبٍ، فقد كانت غير مُبتلِّة رغم
وقوفها تحت المطر، وكانت عيناها لا ترمش، قمتُ بحكِّ
عينيَّ ورؤيتها مرة أخرى لأتأكد مما أرى، ولكني لم أعد
أراها... اختفت!

تعوذت بالله من الشيطان الرجيم مباشرة، وبصراحة
شعرت بالخوف ظننت بأن ما رأيته ”جنّية“، لكنني سرعان
ما نسيت الأمر في الصّباح وانشغلت بالمقهى...



في الليلة التالية كنت كعادتي أحاول النوم مُستلقيًا على أريكة مكتبي وكنت واضعًا يدي على عيني لأرغمهما على النوم، وفجأة... سمعت صوت الطّرق ذاته على الشباك:

”تك تك تك“.

أفشعرَ بدني، وقمت بفتح نصف عين لأرى مصدر صوت الطّرق، وإذا بي أرى الفتاة ذاتها تطرق الشباك، وهي تنظر إليّ بأعين ثابتة لا ترمش، فزِعت وقمت مسرعًا من على الأريكة وقلبي تسارعت دقّاته رعبًا، وقمت فورًا بتشغيل سورة البقرة في المكتب لترحل، ولكنني وجدتها واقفة عند الشباك وتبتسم ابتسامة أرعبتني...

خرجت فورًا من المقهى خائفًا أريد الهروب، ولكن العجيب هو أنني عندما نظرت إلى شباك مكتبي من الخارج وجدتها واقفة داخل المكتب وتنظر إليّ بنفس النظرات، فررت مسرعًا إلى المنزل وذهبت إلى غرفتي وأغلقت الباب، ثم استلقيت على السرير واختبأت تحت



اللحاف ظناً مني بأنه سيحميني...

مضى بعض الوقت...

والغريب هو أنني خلدتُ للنوم ونمتُ نومًا عميقًا لساعات قليلة ثم استيقظت على صوت الطُرق نفسه...
”تك تك تك“.

تسارعت أنفاسي وخبّأت رأسي داخل اللّحاف، وبقيت مغمض العينين من شدة الخوف... ثم مرّت دقائق معدودة ولم يتكرر الصّوت، لذلك أخرجت رأسي قليلاً من داخل اللّحاف لأرى الشباك ولكني لم أر شيئاً، ثم سمعت صوت حركة بجانب ”التسريحة“ التي كانت تملؤها الفوضى من عطور ومستلزمات شخصية، ووجدت الفتاة ذاتها تجلس على كرسي التسريحة وتعبث بأغراضني، ثم نظرت إليّ... لكنني ارتعبت من نظرتها واختبأت مرة أخرى داخل اللّحاف، وسمعتها وهي تضحك بسخرية، وكانت تلك أول مرة أسمع بها صوتها، قررت أن أتجرأ وأخرج رأسي قليلاً، قمت بسؤالها بصوت يرتجف: ”م..م..من أنت؟!“. قالت بصوت ناعم ومَبْحوح: ”لقد أذنّ الفجر منذ قليل، انهض للصلاة“. أجبتها بصوت خائف: ”حسناً“.

وبالفعل نهضت وذهبت إلى المسجد لأصلي الفجر... ولكني بقيت أتساءل في داخلي وأنا في طريقي إلى المسجد: ”ما هذه الجنية التي توقظني للصلاة، هل هي جنية مسلمة؟“.



وبعد صلاة الفجر، ذهبت إلى شيخ المسجد وأخذت أسأله عمّا إذا كان بإمكاننا رؤية الجن، أجابني الشيخ: "لا يمكننا رؤية الجن يا خليفة إلا إذا تشكّلوا على هيئة بشر أو حيوان أو غيره، وفي الأغلب لا يراهم إلا السحرة وغيرهم من الأشخاص الذين يتعاملون مع العالم الآخر". أردفتُ: "وهل يمكن للشخص العادي الذي لا يتعامل مع الجن أن يراهم؟". أجابني: "بشكل عام، الشخص المؤمن الذّاكر لربه والمحافظ على صلّاته ودينه لا يراهم حتى إذا تشكّلوا، ولكن... من الممكن أن يراهم في حالات نادرة كإصابته بالمسّ أو إذا أرسل له أحد السحرة ماردًا كافرًا أو غيره من أعمال الشر، ولكن لا داعي للخوف فعلاج المسّ بالقرآن والرّقية الشرعية والذّكر والإيمان، ويمكن للشخص أن يرقّي ويحصّن نفسه وأهل بيته بكل سهولة من هذه الأمور".

شكرته وعدت إلى المنزل لأخذ حمامًا سريعًا قبل الدّهاب إلى عملي في المقهى، وكنت أشعر براحة بعد ما قاله الشيخ، خرجت من دورة المياه وأنا أمسكُ فوطة بيدي أنشّف بها وجهي وشعري، وما إن أبعدت الفوطة عن وجهي، حتى رأيتها واقفة داخل الغرفة بجانب السّتارة وتنظر إلى الشباك، تجمّدت في مكاني...

قالت بنبرة هادئة وهي مستمرّة بالنّظر إلى الشباك: "أنا لست جنيّة".



ظَلَلْتُ واقفًا في مكاني متجمّدًا، لم أتحرك، ولم أرمش
حتى...

ثم التفتت إليّ وقالت بكل هدوء: ”هيا، حان وقت
العمل“.

وفجأة... دخلت أمي الغرفة دون أن تطرق الباب
كعادتها مما أخافني وقفزت مَفزوعًا عندما رأيتهما...

أم حمد باستغراب: ما بك؟ هل رأيت جنيّة؟

خليفة بارتباك: ج..ج..جنيّة؟!

أم حمد: أريدك أن تأتي لي بقائمة مستلزمات للمنزل
من الجمعية و...

كانت أمي تتحدّث معي ولم أكن أسمعها، كنت أحاول
النّظر إلى الشباك لأرى إن كانت الفتاة لا زالت موجودة
وإن كانت أمي ترى ما أراه، ولكنها اختفت من مكانها ولم
تذكّر لي أمي أنها رأت أي شخص في الغرفة غيري...
مما زاد قلقي أكثر، هل أنا فقط الذي يراها؟



فياك أم حَقِيقَة؟

الليلة المقبلة...

كانت ليلة اليوم الوطني الإماراتي...

مما يعني أنها عطلة رَسْمِيَّة، وأن الاحتفالات ستقام في كل أنحاء البلاد حتى داخل البيوت، كنا نعمل أنا وفريق المقهى طوال الليل على تزيين المقهى وتجهيزه لهذه المناسبة، كنا مهتمين بأدق التفاصيل حتى "فن القهوة" الذي زيناه بأحرف "UAE"...

وفي نهاية اليوم أعطيت كل موظفي المقهى مكافأة مادية على جهودهم في هذا اليوم، وقررت أن أبقى أنا في المقهى تلك الليلة لأقوم بعمل العروض التسويقية الخاصة باليوم الوطني في حساباتنا على مواقع التواصل الاجتماعي.

كنت مندمجًا جدًا في العمل وبجانبي كوب قهوة "الأمريكانو" المثلجة اللذيذة...

وفجأة إذا بي أسمع صوت فتاة مبحوح وهادئ يقول



لي: "يعطيك العافية". لم أرفع رأسي، بقيت أنظر إلى شاشة جهاز الحاسوب، كنت أعرف أنها هي... ثم قالت مجددًا بنبرة أكثر حدة: "يجيبون: الله يعافيك". بقيت أنظر إلى الحاسوب وقلت بنبرة خافتة: "الله يعافيك". ثم ضحكت ضحكة مستفزة أدخلت الرعب إلى قلبي وأخذت تمشي في أنحاء مكثبي، وكان صوت كعبها العالي يزيد الرعب بداخلي أكثر، ثم قالت: "يعجبني اهتمامك بأدق التفاصيل". ابتسمت ابتسامة زائفة وقلت لها: "ش.. شكراً". ثم نظرت إليّ وقالت: "ليتك تهتم هكذا بعائلتك وأمك المسكينة التي انهارت وهي تتصل بك". أخذت هاتفها النقال الذي كان صامتًا ووجدت خمس مكالمات فائتة من أمي وثلاث من سُميَّة أختي. نهضت بسرعة وأخذت هاتفها ومفتاح مركبتي وذهبت مُسرعة إلى المركبة متوجِّهًا إلى المنزل، وأخذت أتصل بهم وأنا في الطريق، أجابني سُميَّة.

سُميَّة: ألو خليفَة، حاولنا الاتصال بك كثيرًا، أين أنت؟
خليفَة: آسف يا سُميَّة لقد كنت أعمل وكان هاتفي صامتًا، وأنا الآن في طريقي إلى المنزل، هل أنتم بخير؟
سُميَّة: أبي متعب جدًّا، تسارعت دقات قلبه ولم يستطع التنفُّس، طلبنا سيارة إسعاف له، لذا، لا تذهب إلى المنزل، تعال فورًا إلى المستشفى، نحن هناك.



ذهبت مسرعًا إلى المستشفى وبقيت ألوم نفسي طوال الطريق، حمد أخي قد سافر منذ يومين في رحلة عمل، ويجب عليّ أن أكون أكثر اهتمامًا بعائلتي والمنزل في غيابه ولكني انشغلت بالمقهى ولم أكرث مثلما قالت... لحظة أين هي؟

ثم قالت بصوتها المبحوح: "أنا هنا يا حليفة، هيا أسرع إلى المستشفى واذهب لوالدك الذي كاد أن يموت وأنت مشغولاً في تزيين مقهاك".

لم أجب عليها، ولكني أسرعت أكثر مثلما قالت...

وعندما وصلت إلى المستشفى وذهبت إلى والدي، قال لي الطبيب بأن ضغطه مرتفع وهذا ما سبب له تسارعاً في دقات القلب وضيقاً في التنفس، ووصاه الطبيب بأن يبتبه على تغذيته ويبتعد عن الضغوطات النفسية، كان أبي لا يزال متعباً، لذا تركناه يرتاح في الغرفة وخرجنا، ولكني كنت أسمعها في أذني تتحدث وتقول: "كيف له أن يبتعد عن الضغوطات النفسية ولديه ابنٌ عاصٍ مثلك؟".

ضغطت على أذني بيدي لكي لا أسمع صوتها ثم قلت بصوت مندفع: "كفى!!". مما أثار استغراب أختي سُميَّة التي كانت تقف بجانبني، وقالت: "هل أنت بخير يا حليفة؟". فكّرت بكذبة سريعة لأخفي بها تصرفي الغريب وقلت لها: "نعم، إنه فقط طنين أذني الذي يزعجني". ثم قالت: "اذهب



إلى الطَّيِّبِ بِالذَّاخِلِ واطلب منه فحصك، ربما..“ . قلت لها مقاطعًا: ”لا داعي لذلك أنا بخير، إنني فقط مرهق قليلًا لأنني أعمل منذ الصُّبْح ولم آخذ قسطًا من الرَّاحة“ .

عدنا إلى المنزل بعد ساعات قليلة وكان أبي قد تحسن الحمد لله وقد نام في غرفته، ولكنِّي لم أستطع النَّوم، والسَّبب أنني منذ أن دخلت إلى غرفتي، وأنا أراها في كل زاوية وهي تنظر إليَّ بعُتْب وتُسمعني كلامًا مزعجًا يجعلني أشعر بأنني أسوأ إنسان على الكرة الأرضية، جُننت بسببها وقمت بأخذ جرعة زائدة من أقراص المُنوم كي أستطيع النَّوم، وبالفعل قد نمت...

ولكني لم أنهض لا لصلاة الفجر ولا لصباح اليوم التالي، أيقظتني عاملة المنزل في الظُّهر عندما دخلت لتنظيف غرفتي واستغربت من وجودي بها حتى هذا الوقت، قمت مسرعًا لأستحم وأذهب إلى المقهى بسرعة والحمد لله الذي رزقني بسيد الذي دائمًا ما يسيطر على الأوضاع في غيابي عن المقهى.

عندما دخلت المقهى نظر إليَّ سيد باستغراب، ولا ألومه فقد كان وجهي مُتورِّمًا من كثرة النَّوم، ثم سألني إن كنت بخير، لكني لم أجبه وبقيت أحاول تجنب النَّظر إلى وجهه، لكنه بقي يسألني بإصرار: ”سمعت أن والدك مريض، هل هو بخير؟ هل حدث شيءٌ له؟ فهذه أول مرة تتأخر بها عن المقهى!“ . رفعت رأسي وقلت له: ”نعم أبي



بخير، ولكن أنا لست بخير يا سيد، وأحتاج إلى دعمك هذه الفترة في المقهى إلى أن أصبح بخير“. هزّلي رأسه بالقبول ثم أخذ يتكلم عن العمل وما سنقوم بفعله اليوم بما أن تاريخ اليوم ”الثاني من ديسمبر“ وهو اليوم الوطني الإماراتي وستكون هناك الكثير من الفعاليات والاحتفالات مساءً.



انتهت فترة احتفالات اليوم الوطني بسلام... وكان المقهى مزدهراً في تلك الأيام ولا يخلو من الزبائن، بل كان عدد الزبائن يفوق قدرة تحمل المقهى. لذلك طلبت من الموظفين أن يعملوا بمناوبتين الصّباح والمساء كي نلحق بطلبات الزبائن، وقمت بتعويضهم بأيام عطل إضافية في رصيدهم. كنت سعيداً جداً بنجاح مقهى وكنتم أستمتع جداً بالعمل في تلك الأيام المزدحمة رغمًا عن الإرهاق الناتج عنها. ذهبت إلى مكتبي وأخذت أحسب الأرباح اليومية وأخطط كعادتي، ثم غفوتُ على طاولة المكتب دون أن أشعر من شدة الإرهاق، وكانت هذه أول مرة أنام فيها دون أقراص المنوم منذ فترة طويلة، ولكني لم أهنأ بتلك النومة...

”تك تك تك“.

صوت طرقٍ أعرفه جيداً...

ولكني لا زلت أسمعهُ، وأنا غارقٌ في النوم...

ثم تكرر الصوت...

وأخذ يتكرر...



إلى أن استيقظت...

رفعت رأسي منزعجًا، وإذا بها هي... مرة أخرى. ولكنني هذه المرة لم أشعر بالخوف؛ كنت قد وصلت أقصاي منها، قمت منفعلاً وأنا أتأقّف وقلت بانزعاج: "نعم! ألن تُكفّي عن إزعاجي؟ ماذا تريدان؟ ومن أنتِ أصلاً؟ ولما لا تخرجين لي إلا عندما أكون وحدي؟". قالت بابتسامة مُستفزة باردة: "أوف أوف! اهدأ قليلاً ما كل هذا الانفعال؟ كنت فقط أوقظك لأنك نسيت أن تغلق باب المقهى". خرجت من مكثبي بسرعة واكتشفت أنني فعلاً نسيت إغلاق الباب، أغلقته بسرعة ثم عدت إلى المكثب، تَلَقْتُ يمينًا ويسارًا ولم أرها. قلت بصوت عالٍ: "أين ذهبتي؟". أجابتي وهي تجلس على الأريكة: "أنا هنا خلفك، أنا دائماً هنا يا خَلِيفَة". جلست بجانبها ثم قلت لها: "اسمعي، أنا تعبت... لدي ما يكفيني من الضغوطات، أخبريني من أنتِ؟ وماذا تريدان؟ هل أنتِ جنيّة أم أنتِ قريني أم ماذا؟". ضحكت بصوت عالٍ ثم قالت: "لا أنا لست جنية، كيف لك أن تفكر بهذه الطريقة الحمقاء!". قلت لها: "إذا أخبريني من أنتِ؟". أخذت تدخل أصابعها في شعرها وتعبّث بحُصْلِهِ ثم قالت: "أنا خيالك". نظرت إليها باستغراب أنتظر تفسيرًا، أردفت: "أنا صوت عقلك يا خَلِيفَة، لذلك لا أحد يستطيع رؤيتي أو محادثتي غيرك، ولا أعرف أي شيء عن الآخرين،



أعرف فقط تفاصيلك وتفصيل حياتك أنت، لأنك أنت فقط من يهمني“. قالتها ثم وقفت وخرجت من المكتب، ذهبت أجري خلفها لكي أسألها أكثر ولكنها اختفت...

كيف لصوت عقلي أو خيالي مثلما قالت بأن يتشكل لي على هيئة بشرية، ويظهر لي ويحدثني، هل جُنت؟ هل كل هذا بسبب أقراص المُنوم التي أتناولها؟ أو هل هذا بسبب عدم حصولي على نوم لساعات وأيام طويلة؟ يا إلهي! ما الذي يحدث بي؟



قررت في اليوم التالي أن آخذ عطلة قصيرة أريح بها عقلي، ربما كل الذي أحْتاجه هو الرَّاحة، لذلك اتَّفقت مع صديقي خالد وبقية الشباب الذين لم أرهم منذ فترة طويلة بأن نقضي عطلة نهاية الأسبوع بشكل مختلف وممتع، ثم اقترح أحدهم أن نحجز في أحد الشاليهات وننزعِل عن الحياة اليومية قليلاً، وقد كان اقتراحه كل ما كنت أحْتاجه في تلك اللَّحظة.

وبالفعل ذهبنا إلى الشاليه... وكانت الفيلا في الشاليه تتميز بالطراز الحديث والألوان الترابية المريحة للعين، وتتكون من أربع غرف وصالة ومطبخ تحضير صغير، وكانت مُطلَّة على الشاطئ وحمام سباحة صغير بالقرب من بلكونة الشاليه. والجميل هو أننا في فصل الربيع، فالجو ليس حارًا ولا قارسًا البرودة، بل هو جوُّ ربيعيٍّ معتدل ذو هواء مُنعش. وكانت قائمة فعالياتنا في اليوم الأول كالتالي: أخذنا في الصُّباح طرادًا صغيرًا ودخلنا في عمق البحر وقمنا باصطياد بعض الأسماك إلى أن حان وقت الظَّهيرة واشتدت الشمس، ثم عدنا بالأسماك



التي اصطدناها إلى الفيلا وقمنا بشوئها لتناولها مع قليل من الأرز، ولحسن الحظ أن أحد أصدقائنا ماهر في الطبخ، مما جعل غداءنا شهياً. ثم استلقينا في حمام السباحة ونحن كنا ملطّخين بمُستحضرات التسمير لنصبغ أجسادنا باللون البرونزي الجذاب الذي يسمى بالمصطلح الحديث "sun-kissed". وفي المساء قمنا بعمل جلسة على الشاطئ مع قليل من نار الحطب لنشعل بعض الإضاءة، وأخذ أحد أصدقائنا الذي كان يتميز بالصوت العذب آلة العود الخاصة به، وبدأ يُدندن بالأغاني الخليجية القديمة الخاصة بالمطربين "محمد عبده" و"عبد المجيد عبدالله" و"راشد الماجد".

كان يوماً رائعاً ومميزاً جداً... وفي نهاية اليوم، ذهب كل منا إلى غرفته للنوم، وبما أن الفيلا تتكون من أربع غرف ونحن خمسة شباب، قررنا أنا وخالد أن نتشارك إحدى الغرف ونستعيد ذكريات السكن الجامعي. أخذنا نتحدث عن ذكرياتنا القديمة طوال الليل حتى غرق خالد في النوم دون أن يشعر، ولكنني بقيت مستيقظاً كعادتي بسبب الأرق الذي أصبح لا يفارقني، بقيت أتقلب وأتقلب وأحاول جاهداً النوم... ولكن بلا فائدة. ثم قمت وأخذت سيجارة من جيب صديقي خالد مع العلم أنني لست مدخناً، خرجت إلى بلقونة الغرفة الصغيرة كي لا أزعج خالد بالدخان وهو نائم، وأخذت أشعل السيجارة، وما إن



أدخلتها إلى فمي حتى سمعت صوتًا يقول لي: "ألم تترك التدخين منذ فترة طويلة؟". التفتُّ خلفي ووجدتُ خيال، قلت لها بغضب، ولكن بصوت منخفض كي لا يسمعي أحد: "أنتِ مجددًا! ماذا تفعلين هنا؟ وكيف لِحقتني إلى الشاليه؟". ردت ببرود كعادتها: "ألم أقل لك إني معك أينما ذهبت؟ وما هذه السَّيجارة؟ كُفَّ عن حركات المراهقين هذه! ألم تكبر؟". نظرت إليها باستغراب وقلت: "ماذا تعنين؟". قالت: "ألم يضربك والدك عندما كنت مراهقًا بسبب تلك السَّيجارة ووعده بأنك لن تفعلها مجددًا؟ ألا تخجل من نفسك وأنت شابٌّ بهذا العمر وتقوم بكسر وعدك لوالدك والتدخين سرًّا؟". استفزني كلامها جدًّا وقلت لها صارخًا: "اصمتي أيتها الوغدة! لا دخل لك بيني وبين والدي هذا شأن يخصنا، ارحلي من هنا الآن هيا!... قاطعني خالد الذي أيقظهُ صوتي، قال وهو ينظر إليَّ باستغراب شديد: "خليفة مع من تتحدَّث في هذه السَّاعة المتأخِّرة؟". نظرت حولي بارتباك أبحث عن خيال التي اختفت ما إن أتى خالد، اضطررت أن أكذب وقلت له بأني كنت أتحدَّث عبر الهاتف، ثم سألني بنبرةٍ ساخرة: "من هذه الوغدة التي كنت تتحدَّث معها؟ لا أتذكَّر أنك كنت تتحدَّث مع فتيات يا رجل فاجأتنني!". لم يعجبني كلامه ولكنه كان من الأفضل لي أن يظن أنني أتحدَّث مع فتيات لأنني لن أتمكن من إخباره بالحقيقة،



وهي أنني أتحدث مع فتاة وهمية تدعي بأنها خيالي
وصوت عقلي!

استطعت بعد صلاة الفجر أن أغفو لبضع ساعات
وأرتاح قليلاً، ثم اضطررت أن أصحو باكراً كي لا تفوتني
فعاليات اليوم التالي خاصة فعالية الـ “jet ski” التي كنت
متحمساً لها جداً، ولكني لم أتمكن من الاندماج مع
أصدقائي في هذا اليوم حيث كنت أتلقّت حولي طوال
الوقت للبحث عن خيال خوفاً من أن تخرج في أي لحظة
وتستفزني بكلامها كعادتها ويُفصح أمري. لاحظ خالد
شروود ذهني المتكرر وسألني عدة مرات إن كنت بخير،
وكنْتُ أجيبه بنعم في كل مرة رغم علمي بأنه لن يصدقني،
فهو يعرفني جيداً بحكم العشرة الطويلة التي تجمعنا.



من بعد الموقف الذي حدث لي في الشاليه مع خيال، أصبحت أكثر قلقًا، دخل في قلبي رعبٌ من أن أقوم بفعل سلوكٍ مُحرج أمام الآخرين، كنت أترقبها طوال الوقت، كانت تظهر في لحظات عشوائية تجلّدي بكلماتها وتختفي، ولكنها أصبحت أكثر تأثيرًا عليّ بعد فترة، عندما بدأت تظهر لي في الأماكن العامة وأنا لست وحدي وترمقني بنظرات غريبة، حتى إن المحيطين بي أصبحوا يلاحظون شرودي وقلقي. وكان أسوأ موقف، عندما كنت جالسًا مع عائلتي في مجلس بيتنا لاحتساء الشاي، ثم فتحت أمي موضوع الزّواج وأخذت تُخبرني عن أمنياتها بأن ترى أحفادها كعادة أغلب الأمهات، ومؤخرًا أصبحت أمي تكرر فتح هذا الموضوع معي أكثر من اللازم خاصة بعدما قال لها أخي حمّد بأنه يرغب بالزّواج. كنت أشعر بالإحراج كلما حدثتني أمي عن الزّواج خاصة إذا كان أمام باقي أفراد الأسرة. قالت أمي: ”هيا يا خليفَة أخبرني متى أذهب وأخطب لك؟“. قلت باستحياء: ”ليس الآن يا أمي، أنا لست مستعدًا بعد“. ثم



بدأت أمي وسُميَّة تقترحان بعض الفتيات اللّذين تعرفانهن من أهلٍ وجيرانٍ ومعارفٍ وغيره. ولكنّي التزمّت الصّمت ولم أعلّق، كنت أنظر لهما بابتسامة خجولة فقط، فأنا حقًا لا أفكر بالزّواج الآن ولا أعلم لم كل هذا الاستعجال... وإذا بي أسمع صوت خيال وهي تهمس في أذني وتقول لي: "حتى أمك المسكينة لا تستطيع إسعادها وتحقيق رغبتها". استفزنتي جدًّا خاصة وأنني كنت مليئًا بالقلق والغضب المتراكم تجاهها، قلت بغضب: "كفى!". ثم قالت أمي اللّتي ظنّنت أنني كنت أتحدث معها: "ما بك يا خليفة؟ هل أزعجك إلحاحي عليك بالزّواج؟". وقالت سُميَّة: "كيف لك أن ترفع صوتك على أمي! إن كنت لا تريد الزّواج يمكنك أن تقول ذلك بأسلوب أفضل". لم أعرف ماذا يجب عليّ أن أفعل أو أقول كي أنقذ الموقف، لذلك نهضت وذهبت إلى غرفتي دون أن أقول شيئاً...

جلست على حافة السّرير واضعًا يدي على رأسي... أفكر بوضعي اللّذي بدأ يزداد سوءًا، ثم دخلت الغرفة أختي سُميَّة وهي تكمل حديثها عن ردّة فعلي، لم أكن أسمع ما تقوله، رفعت رأسي أنظر إليها بعينين مغلّورتين بالدموع، ثم سكّنت عندما رأت عينيّ وجلست بجانبني وقالت: "خليفة! ما بك يا أخي؟ أنا آسفة لم أكن أقصد، ولن نفتح معك موضوع الزّواج مجددًا إذا كان هذا الأمر يزعجك". قلت مقاطعًا لها: "الأمر ليس عن موضوع



الزَّوْج، أَنَا مَتَعِبٌ يَا سُمَيَّةَ“. شَرَحْتُ لَهَا وَضْعِي مَعَ الْقَلْقِ
وَالأَرْقِ الَّذِي أَصْبَحُ لَا يَفَارِقُنِي وَالتَّعَبِ وَعَدَمِ التَّرْكِيزِ وَكُلِّ
شَيْءٍ، وَلَكِنِّي لَمْ أَتَجَرَّأُ أَنْ أَقُولَ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ خِيَالِ، خَاصَّةً
وَأَنَّهَا كَانَتْ تَقْفُ أَمَامِي وَهِيَ تَحْدَقُ بِي. ثُمَّ نَصَحْتَنِي
سُمَيَّةَ بِأَنْ أَذْهَبَ إِلَى أَحْصَائِي نَفْسِي، وَقَالَتْ لِي بِأَنَّهَا
سَتُسَاعِدُنِي وَتَقْفُ مَعِي وَلَنْ تَخْبِرَ أَحَدًا ثُمَّ قَبَّلْتَنِي عَلَى
جَبِينِي وَغَادَرْتُ الْغُرْفَةَ. اسْتَلْقَيْتُ عَلَى سَرِيرِي لِأَرْتَاحِ
قَلِيلًا ثُمَّ سَمِعْتُ فَهْقَةً خِيَالِ الْمُسْتَفْزَةِ، أَخَذْتُ الْوَسَادَةَ
وَوَظَّيْتُ بِهَا أُذُنِي كَيْ لَا أَسْمَعَ صَوْتَهَا وَلَا مَاذَا تَتَوَى قَوْلَهُ
هَذِهِ الْمَرَّةَ.

وَبَعْدَهَا بِدَقَائِقٍ مَعْدُودَةٍ... تَلَقَيْتُ رِسَالَةَ عِبْرِ الْوَاتْسَابِ
مِنَ سُمَيَّةَ، بِهَا قَائِمَةٌ مِنَ الْأَخْصَائِيِّينَ النَّفْسِيِّينَ الَّذِينِ
بَحَثَّتْ عَنْهُمْ... تَجَاهَلْتُ رِسَالَتَهَا، فَلَمْ أَكُنْ أُرِيدُ طَلْبَ
الْمُسَاعَدَةِ وَلَا اللَّجُوءَ لِشَخْصٍ كَيْ يَقُولَ لِي بِأَنِّي مَرِيضٌ
نَفْسِي. ظَنَنْتُ أَنْ وَضْعِي سَيَتَحَسَّنُ بَعْدَ فِتْرَةٍ، وَلَكِنِّي كُنْتُ
مُخْطِئًا...



اليومُ الذي اختلفَ بعده كلُّ شيءٍ

في بداية الأمر... كانت خيال تظهر لي وأنا وحدي فقط بين مدّة وأخرى، خاصة حين أكون تحت ضغط شديد في العمل أو عند وقوع أحداث سلبية مثل دخول والدي في المستشفى. ثم تدريجيًا أصبحت تظهر لي أكثر وبدا لي وكأنني أراها بشكل شبه يومي وفي جميع الأوقات، أظن أن حالي قد تدهور ووصلت لمرحلة سيئة جدًا، فقد كانت تجلديني بكلامها بشكل قاسٍ جدًا وكانت كلماتها تلك تستقرّ وترنُّ في أذني، لدرجة أنني انهرت ذات مرة أمام الجميع في المقهى ومرة أخرى في البيت وأمام أصدقائي، حتى أثار ذلك شكوك أبي وجعله يظن بأن هذا تأثير شيء من المخدّرات!

وهنا أيقنت أن أقرص المنوم التي أدمنتها تلك تؤثر فيني كتأثير المخدّرات، ولكنني ظلت مُتمسِّكًا بكبريائي وأني بخير ولا أحتاج للمساعدة... إلى أن أتى ذلك اليوم...



ترددت بعدها ... تلعثمتُ في كلامي... دمعت عيناى...
قالت دانة التي ظلت تسمع قصتي الطويلة ولم
تقاطعني قط: ما الذي حصل بعد هذا يا خليفة؟
خليفة: ألا تذكرين؟
ظلت دانة صامته...

خليفة بحزن شديد: كان اليوم الذي انتهت علاقتنا
به...

دانة: أكان كل هذا في تلك الفترة؟ ولهذا السبب كنت
شديد التخبُّط والتشُّت حينها؟

خليفة: نعم، ولذلك كنت أتجنّبك وقتها كي لا ترين
ضعفي، رغم أنني كنت متأكدًا من أنك ستقفين معي
وتساندينني، فقد كنت أول من لاحظ التغيير الذي حصل
بي.

دانة: لم تكن فترة هيّنة عليّ أنا أيضًا، ففراقك كان
أصعب شيء حدث معي يا خليفة.

لم أستطع مواجهة ذكرياتي معها رغم أنني ارتحت جدًا



بعدهما فُضِفْتُ وأُخْرِجْتُ كل ما بداخلي لها كما كنت
أفعل أيام الجامعة...

حَلِيفَة: أعتذر منك، أريد إغلاق الهاتف أشعر بالنعاس.
دانة كاشفةً لأمره: أحقًا تشعر بالنعاس؟
ظَلَلْتُ صامتًا ولم أقل شيئًا...

دانة: دعنا نتحدث عما حصل، دعنا نخرج ما في
داخلنا ونضع النقاط على الحروف.

خضعت لها وتذكرت كلام الدكتور نزار عندما قال لي
بأنني يجب أن أصنع وقتي المناسب...

أكملت دانة: أتذكر ذلك اليوم جيدًا، أتيت لك بكامل
مشاعري واندفاعي، أخبرتني يومها بأن الوقت ليس
مناسبًا... لم أفهم ما الذي كنت تمرُّ به، وبصراحة... لم
أكن مستعدة لفهم ذلك، حيث راودتني الكثير من الأفكار
الساذجة... فظننت بأنك لم تكن تُبادلني المشاعر أو لا
ترغب باستمرار علاقتنا التي كنت أتمناها بشدة، غير
الضُّغط الشديد الذي كنت أتعرض إليه من قبل أمي كي
أتزوِّج من ابن صديقتها، وأظن أنني كنت أريد الهروب منه
إليك، وكانت أناية مني...

حَلِيفَة: من طرفي أنا... كان يجب عليّ أن أشرح لك
ظروفي بشكل أوضح لا الهروب منك، ولكنني في نفس
الوقت لم أكن مستعدًا للحديث عن الأمر؛ حيث لم أكن



قادرًا على استيعاب ما يحدث أصلًا... ولا أعتقد أيضًا
بأنني كنت مستعدًا لاستقبال مشاعرك الجميلة تلك ولا
لبداء علاقة معك، ولم أكن أعني مدى احتياجي لك...
هناك سؤالٌ يراودني منذ بداية حديثنا ولا أدري إن كان
طرحه الآن مناسبًا...

دانة: قُل لي... دعنا نكون في قَمَّة وضوحنا اليوم...

خليفة: هل ما زلتِ تحملين لي نفس المشاعري يا دانة؟

دانة بتردد وحياء: بصراحة لا أعلم، فبعد زواجي
وانفصالي السريعان من ابن صديقة أُمي ولخبطَة
المشاعر التي مررت بها، لا أستطيع فهم مشاعري فهي
مُشوَّشة جدًا... وصحيح أن زواجي كان في فترة زمنية
قصيرة، إلا أنه كان كالصَّحوة بالنسبة لي، حيث جعلني
أدرك أمورًا كثيرة عن نفسي، كالذي أحبه أو أكرهه في
الرَّجل أو ما الذي أريده من الرَّجل أساسًا، وجعلني أدرك
مدى جدية قرار الزَّواج والمسؤوليات التابعة له.

خليفة: هل تسمحين لي أن أسأل عما كان سبب

الانفصال؟

دانة: كان رغبة مشتركة بيننا، لم يكن أي منا جاهزًا
للزواج ولم يكن أي منا لديه رغبة في الآخر، فقد كان
زواجنا رغبة والدتيينا في توطيد علاقتهما لا أكثر، والحمد
لله أنه كان يرغب بالانفصال مثلي وإلا لكانت أُمي ضغطت



عليّ كي أستمر في زواج لست مقتنعة به .

خليفة: أحقًا؟ لم كل هذا الضّغط من والدتك على زواجك؟ فأنت ما زلت صغيرة في أي زمن نحن؟

دانة: المشكلة هي أن أمي متأثرة جدًّا بنماذج الفتيات اللّاتي تأخرنَ في الزّواج من محيطها، وتضغط عليّ بدافع خوفها من أن أتأخر في الزّواج وأصبح "عانس" كما تقول الأخريات في مجتمعات النّساء .

خليفة ضاحكًا: أما زالت هذه المصطلحات المتخلّفة دارجة؟ ظننت أننا تطورنا!

دانة: أمرهنّ غريب فعلاً، يتمسّكن بمخاوف غير حقيقية ويحاولن توريثها لنا، بالنّسبة لي أن أبقى دون زواج أفضل بمراحل من أن أكون في زواج خاطئ ومع شريك غير متوافق معي، لكن الحمد لله بأننا كنا واعيين رغم صغر سنّنا واخترنا الانفصال بكل احترام، ولم نقبل الخضوع في الاستمرار لاختيارهم المتسرّع .

خليفة: وماذا ستفعلين الآن؟

دانة: لا شيء، أساسًا نحن الآن في وسط هذه الجائحة والحجر الصّحي فلا أعتقد أن أمي ستحاول تزويجي إلى أن ينتهي الأمر .

خليفة: يُمكنها تزويجك دون إقامة حفل زفاف .

دانة: مستحيل! أمي تعشق البهرجة وأن تجعل النّاس



يتكلمون عنها وعن تفاصيل زفاف ابنتها، فلا تعلم إلى أي حد كانت مُبالِغة ومُبدِّرة في زفافي، لن تقبل أن أتزوج دون إقامة حفل.

خليفة: ألم أقل لك؟ عند خروجي من الغيبوبة وعودتي إلى المنزل، اكتشفت أن أخي حمَد وابنة عمي مُهَرَّة قد تزوجا دون إقامة أي احتفال.

دانة: معقول! كيف له أن يتزوج دون حضورك، حتمًا لم يكن هذا سهلًا عليك.

خليفة بسخرية: صدّقيني كان أسهل بكثير من علمي أنهم قد استغلّوا دخولي في غيبوبة؛ ليقوموا بإغلاق مَقَّهاي.

دانة: لا تقل هذا يا خليفة، فالكثير من المشاريع قد أغلقت أثناء الجائحة وخاصة المقاهي والمطاعم، لا أعتقد أنهم قد أغلقوا مَقَّهاك عن قصد، المهم دعنا من هذا... أخبرني أكثر، أحقًا اختلف كل شيء بالنسبة لك بعد فراقنا؟

خليفة: نعم، فقد ترك بي أثرًا كبيرًا...

دانة: كيف ذلك؟ ولماذا؟

خليفة: لأن علاقتي بك هي العلاقة الوحيدة التي كانت غير مشروطة حينها.

دانة: ماذا تعني؟



خليفة: علاقتي بك كانت تقريباً أهم علاقة في حياتي، حيث إن علاقتي بأبي وأهلي كانت دائماً مشروطة بشيء ما يجب عليّ فعله كي يرضوا عني، لذلك كنت معتاداً على أن يخيب ظنهم بي لأنني كنت دائماً أمشي وراء تحقيق رغباتي لا رغباتهم، وبالنسبة لتغيير أدائي في المقهى، فقد كان تدريجياً لذلك لم يصدمني، ولكن لُجوءك إليّ وصدي لك كان الأمر الذي جعل خيال تهيج وتبدأ في جلدي بشكل جنوني، كانت تقول لي كلاماً قاسياً جداً مثل: "كيف لك أن تعد نفسك رجلاً وقد خذلت الفتاة التي أحبتك؟". لم أقدر على تقبل تلك الحقيقة خاصة أن تلك الفتاة كانت أنتِ وليست أي واحدة عابرة تعرفت عليها في مواقع التواصل، فكنت لي الزميلة الوفية في الجامعة أولاً ثم أصبحت صديقتي المقربة الحاضرة في أي وقت تحتاجها به والتي تتقبلني كما أنا وتهتم بي، ثم ...

دانة: ثم ماذا؟

خليفة: ثم كنت الفتاة التي دائماً ما كنت أتخيل مستقبلتي معها، فلا أرى نفسي دونك، ولكن التوقيت خذلني ذلك اليوم، وكنت أظن أنك ستفهمين كعادتك، ثم إن زواجك السريع حينها جعلني أظن بأنني قد خسرتك إلى الأبد.



دانة: كان أمرًا صعبًا حقًا، حتى أنا... كنت أشعر أنني
أنا من خذلتنا عندما رحلت في أول خلاف بيننا ورضختُ
للزواج من أول شخص تقدم لي... المهم أننا الآن عدنا
وأن التّحديات التي مررنا بها لم تقدر على تفرقتنا إلى
الأبد.

خليفة: صدقتِ، وربما وجودك الآن هو ما أحجابه
لاجتياز ما أمر به حاليًا...

دانة: أخبرني ما الذي حدث بعدها؟

خليفة: بعدما هاجت خيال وأصبحت تظهر لي طوال
الوقت، شعرت بأني سأفقد عقلي، كنت أنهار بسببها
أكثر من مرة في اليوم، غير نوبات الهلع التي أصبحت
تزورني بكثرة، لم أستطع تحمل الوضع، لذلك قررت أن
أتخلى عن كبريائي وأطلب المساعدة، قمت بفتح محادثة
الواتساب الخاصة بأختي سُميَّة، وبحثت في المحادثات
القديمة عن قائمة أرقام الأخصائيين النفسيين التي
أرسلتها لي سابقًا، وقمت بالتواصل مع أول مختص في
القائمة الذي كان "الدكتور نزار"، اتصلت على الرقم
الخاص بعيادته، أجابني موظفة الاستقبال التي أبلغتني
أنه لا يوجد مواعيد في نفس اليوم وأن جدول المواعيد
مُمتلئ وأقرب موعد بعد أسبوع من الآن، لكنني لم أغلق
الخط وأخذت أترجّها كي تجد لي موعدًا في نفس اليوم
وقلت لها إن وضعي حرجٌّ وأحتاج إلى المساعدة العاجلة،



مما جعلها تلجأ لجعل الدكتور يقوم بالتحدث معي بنفسه،
وفي الأخير ولحسن الحظ كان الدكتور نزار مُتعاوناً جداً
وحاول مساعدتي، طلب مني المجيء في الليل بعد
انتهائه من عمله، ووافقت على الفور.



كانت ليلة ماطرة، وكنت ذاهبًا وأنا في أقصى حالات انهيار، كان وجهي شاحبًا، وذقني مليئًا بالشعر، وشعر رأسي طويلًا وفوضويًا بسبب عدم ذهابي للحلاق منذ فترة طويلة، وكنت أرثدي طقم قميص وبنطالًا رياضيًا شتويًا باللون الأسود كلون السماء في ليلتها، كنت أقود المركبة بتهوّر وأنا أشرب أحد المشروبات الطاقية، حتى إنني كنت سأرتكب حادثًا أكثر من مرة من شدة سوء قيادتي وكنت أسمع بوق التّبيه الذي تُشغله لي باقي المركبات إلى أن وصلت العيادة أخيرًا.

دخلت عيادة الدكتور نزار التي كانت تَخلو من المرضى، حتى موظفة الاستقبال لم تكن موجودة نظرًا للوقت المتأخر، كانت عيادته تبدو راقية جدًا ومريحة في الوقت ذاته؛ حيث كانت ألوان التّصميم الداخلي لدى العيادة يَغلِب عليها درجات الأزرق الداكن والأثاث ذو الطّابع الكلاسيكي، طرقت باب مكتب الدكتور نزار الذي لم يكن مغلقًا بالكامل، ومن ثم دخلت مترددًا وألقيت السّلام فور أن أذن لي بالدخول، كنت مرتبكًا جدًا ويديا ترتجفان.



طلب مني الدكتور نزار أن أستلقي على الأريكة التي كانت تندمج مع ألوان العيادة وتقابلها نبتة "الخزامى". قلت له محاولاً تلطيف الجو: "هذه أول مرة أرى فيها نبتة خزامى بهذا الحجم الكبير". ابتسم ابتسامة هادئة ثم قال: "الخزامى تعد من النباتات المعروفة في تخفيف الضغوطات وإدخال السكينة في النفس، لذلك أحب وضعها مقابل مراجعتي لتساعدني في تهدئة قلقهم وارتيابهم مثلما تشعر أنت الآن". قلت بتوتر: "لا أنا لست قلقاً لكن هذه أول زيارة لي عند أخصائي نفسي و...". قال مقاطعاً: "أضحك معك، أخبرني الآن... ما هي مشكلتك؟".

ثم بدأت أروي له قصتي ولكني لم أتمكن من الإكمال، كان لساني يتلعثم وشفتاي ترتجفان، كنت خائفاً... خائفاً جداً، خائفاً من أن يحكم عليّ، من أن يظنني مجنوناً... ضعيفاً... أو مُدمناً، خائفاً من أن يُؤكّد لي اتهامات خيال وانتقادات أبي عندما يقولان إنني متمرد وعاصٍ ولا أستحق شيئاً... فإذا لم أقدر أنا على مساعدة نفسي، كيف له بأن يساعدني؟

وكانت تلك الليلة هي ليلة الحادث الذي أدّى إلى دخولي في غيبوبة...

أخذت دانة لحظة صمت لهضم كل الذي قد حكيته لها، ولا ألومها؛ إنني لا زلت غير قادر على استيعاب كل



الأحداث التي حصلت معي في الفترة الماضية، أشعر
وكأنني أرى فيلمًا سينمائيًا وليست حياتي...

دانة بفضول: هل كنت تشعر بشيء أثناء غيبوبتك؟ هل
كنت تسمع؟ هل كنت تُدرك الوقت؟

خليفة: لا لم أكن أشعر بشيء، ولم أكن أسمع شيئًا لأن
حرفيًا لم يكن يُقال شيئًا من حولي بسبب منع الزيارة
لي، حيث إنني دخلت في الغيبوبة تزامنًا مع بدء جائحة
كورونا، ولا لم أدرك الوقت، كنت أظن أنني نائم وتفاجأت
بتواجدي في المستشفى عندما استيقظت؛ حيث إنني
استغرقت بعض الوقت لأتذكر آخر الأحداث التي حدثت
قبل وقوع الحادث... ولكنني ما زلت أتذكر الحلم الذي
رأيته قبل أن أستيقظ، أو أستطيع أن أقول بأنه الحلم
الذي جعلني أستيقظ.

دانة: هل كان الحلم عن مقهاك؟

خليفة بنبرة حزينة: هذا صحيح.

دانة: لا زال هناك الكثير من الوقت لتحقيق حلمك يا
خليفة، لا تياس أرجوك، الغيبوبة ليست آخر الدنيا.

خليفة: لم تكن فقط الغيبوبة، كان الأرق، وأقراص
المنوم، والإحباط، وإغلاق المقهى، و...

دانة: وماذا؟

خليفة: وخيال...



فقدانُ السَّغتِ

كان اسمها آخر اسم نطقته قبل وقوع الحادث، وكان أول اسم نطقته بعد استيقاظي من الغيبوبة، كنت أبحث عنها بعيني وأنا في المستشفى طوال الوقت، وكان يطمئنني الطبيب ظناً منه بأنني أنتظر زيارة من أهلي، ولكنني كنت على علم بقدره خيال في زيارتي في أي وقت ومكان إن رغبت، فهي مثل الجنّية تظهر فجأة دون أن يراها أحد، ولكنها لم تأت قط...

دانة باستغراب شديد: هل كانت خيال سبب الحادث؟
خليفة: لا أدري، ربما كانت خيال، وربما كان تعبني وإرهاقي الشديد، وربما الحالة النفسية السيئة التي كنت بها وعدم قدرتي على التركيز...

دانة: ولم تبحث عنها؟ أليس غيابها شيئاً جيداً؟
خليفة: صحيح، ولكنني أريدها أن ترى الذي حدث معي.
دانة: بماذا سيفيدك ذلك؟

خليفة: لأنها كانت تلومني طوال الوقت وتجعلني أشعر بأنني لا أستحق شيئاً، لا أستحق نجاح المَقهى، ولا أستحق



صبر أهلي علي، ولا حتى مشاعرك أنت... أريدها ترى
أني خسرت كل شيء، كل الذي كانت تراه كثيرًا علي...
لقد خسرتة...

دانة: ولكنك لم تخسرنني، أنا ما زلت معك.
خليفة: ولكنني لا أستحقك يا دانة، فأنا قد خذلتك
ودفعتك بعيدًا.

دانة: وأنا عدت، ولن أبتعد هذه المرة، أرجوك يا
خليفة شدّ نفسك قليلاً، دعنا نفكر بحلول لوضعك
الحالي كي تستطيع الخروج من هذه المحنة قويًا.

خليفة: ماذا عليّ أن أفعل؟ أنا فعلاً تائه، لا أعلم إن
كنت سأستطيع استعادة نفسي، أنا حتى لست قادرًا على
صنع القهوة منذ خرجت من الغيبوبة، فكلما رأيت القهوة
أشعر بالعجز... وبالضعف... يبدو أن هذا هو ما يسمى
بفقدان الشغف...

دانة: الوقت كفيف بأن يُشفي جراحك، وأنا متأكدة بأن
هذا الوقت الصّعب سيمضي وستعود "الباريسستا خليفة"
المعروف بالذّقهوة في أبوظبي، وستكون أفضل من ذي
قبل، قل لي... هل حاولت إجبار نفسك على صنع القهوة؟

خليفة: نعم لقد حاولت إعداد القهوة أكثر من مرة،
ولكنني لم أتحمّل حتى شمّ رائحتها، أصبحت تُشعرنني
بالغثيان.



دانة: أيعقل أن تكون هذه ردة فعل جسدك بعد الغيبوبة؟
خليفة: ربما، ولكني لا أعرف ماذا سأفعل في حياتي
الآن، فالقهوة هي ما أعرف عمله...

دانة: أنا متأكدة أنك ستستعيد قدرتك على إعداد
القهوة؛ فأنا لا أتخيّلك دون كوب قهوة في يدك، أظن أن
الأمر يحتاج إلى بعض الوقت، لا تضغط على نفسك الآن
ارتح وخذ وقتك في هضم ما حدث.
خليفة: معك حق...



أخذت مدّة أحوال تَشَتَّتِ تَفْكِيرِي والتَّعَايشِ مع ما حدث، أَشْغَلتِ وَقْتِي بِالْأَعَابِ الْفِيدِيو، وممارسة بعض التمارين الرّياضية في المنزل، وقراءة الكتب، ولكني شعرت بالملل بعد فترة، كنت أفكر بتجربة إعداد القهوة من جديد، ولكن الموضوع أصبح أثقل مما كنت أتخيّل، فقلت في داخلي: ”ربما انتهى شغفي في صنع القهوة، ربما تغيرت بعد الغيبوبة وحن الوقت لتعلّم مهارة أخرى“.

وفي يوم... كنت في غرفتي مشغولاً بالألعاب الفيديو، دخل أخي حمّد وطلب أن يُحدّثني...

حمّد: ألم تشعر بالملل يا خَلِيفَة؟

خَلِيفَة ببرود وهو ينظر إلى الشاشة: ماذا تريد؟
اختصر... إنني أعرف هذه المقدمات جيداً.

حمّد: حسناً إن كنت تعرف، كنا نناقش وضعك أنا ووالدي، فأنت الآن عاطلٌ عن العمل منذ فترة وليس لديك ما تفعله، ما رأيك أن تعمل معنا في الشركة، جرّب فقط وإن لم يعجبك الوضع تستطيع أن تَسْتَقِيلَ في أي وقت؟



خَلِيفَة: طَبَعًا، تُتَاقَشَا وَضَعِي دُونَ وَجُودِي؛ وَكَأَنَّ
المَوْضُوعَ لَا يَعْينِي.

حمد: أَعْلَمُ أَنَّكَ تَلُومُنَا عَلَى إِغْلَاقِ مَقْهَافِكَ، وَلَكِنْ أَقْسَمُ
لَكَ بِمَاذَا بَأْنِي فَعَلْتِ كُلَّ مَا بَوَسَعِي لِأَتُقَدَّ مَشْرُوعَكَ؟

خَلِيفَة: لَا أَرْغَبُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْمَقْهَى، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ
مُسَاعَدَتِي حَقًّا ابْحَثْ لِي وَظَيْفَةً فِي مَكَانٍ آخَرَ، فَلَيْدِي
دَيْنٌ يَجِبُ أَنْ أُسَدِّدَهُ.

حمد: دِينٌ مَاذَا؟

خَلِيفَة: دِينِي لـ (بُو جَاسِمِ) الَّذِي آمَنَ بِي وَاسْتَثْمَرَ فِي
مَشْرُوعِي وَفَشَلْتُ، أَرِيدُ جَمْعَ الْمَالِ لِإِعَادَتِهِ لَهُ.

حمد: وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ ذَنْبُكَ، فَأَنْتِ أَيْضًا قَدْ خَسِرْتَ
الكَثِيرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ... لِمَاذَا لَا تَرِيدُ الْعَمَلَ مَعَنَا؟

خَلِيفَة: أَوَاجَهُ صَعُوبَةٌ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَبِي فِي الْمَنْزَلِ،
فَكَيْفَ سَأَتَعَامَلُ مَعَهُ إِنْ أَصْبَحَ مَدِيرِي فِي الْعَمَلِ أَيْضًا،
أَحَقًّا تَعْتَقِدُ بِأَنَّهَا فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ؟

صَمِتَ حَمَدٌ وَأَعْرَفَ أَنَّهُ قَدْ اقْتَتَعَ بِكَلَامِي، وَلَكِنَّهُ أَيْضًا
مُضْطَرٌّ عَلَى طَاعَةِ أَوَامِرِ أَبِي، أَصْرَرْتُ عَلَى رَأْيِي بِأَنْ لَا
أَعْمَلَ مَعَهُمْ فِي الشَّرْكَةِ، فَأَنَا مُتَأَكِّدٌ بِأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ
خَطٌّ رَجْعَةٌ كَمَا يَقُولُ حَمَدٌ...

وَبِالْفِعْلِ سَاعَدَنِي حَمَدٌ دُونَ عِلْمِ وَالِدِي بِأَنْ أَجِدَ وَظَيْفَةً
بِشَهَادَتِي الْجَامِعِيَّةِ، وَخَضَعَ أَبِي لِقَرَارِي وَلَمْ يَعْتَرِضْ ظَنًّا



منه بأن أيّ عمل مهما كان فهو أفضل من وظيفة الباريسّتا... بدأت بالعمل مباشرة عن بُعد "عبر الإنترنت"، كانت وظيفة عادية جدًّا، لم أكن مُنغمسًا بها كما كنت في المقهى، ولكنها تؤدي الغرض، فهي تشغل وقتي وعقلي وجيبي، فهدفي الآن هو إعادة المال لـ (بُو جاسِم) رغم أنه لم يطلب مني وكان مُتفهِّمًا لوّضعي، لكنني أصررت على ذلك... فأنا لا أحب أن يكون لأحد شيئًا عندي...



استمرّ هذا الوضع قُرابة السّنة أشهر... وبدأت الإجراءات الاحترازية للوقاية من الوباء تخفّ وتعود الأمور إلى طبيعتها تدريجيًا... كان روتينُ يومي كأيّ شخصٍ عادي، أنهض الصّباح للذهاب إلى العمل، أقضي ثمانِي ساعات هناك ثم أذهب إلى النّادي الرّياضي لاستعادة صحتي بعد الحادث، ثم أعود إلى المنزل لقضاء بعض الوقت مع أهلي قليلاً وينتهي اليوم وهكذا... يتكرر الرّوتين المملّ دون أيّ تغيير أو تجديد، فرغم أن الآخرين كانوا يروني مُستقرًا مادّيًا وصحيًا، ورغم أنّي كنت أعيد المال لـ (بُو جاسم) عن طريق الأقساط الشهرية، إلا أنّي كنت أشعر بفراغ داخلي كبيرًا جدًّا، كنت أشعر أنّي أعيش حياة ليست حياتي، وكان الشيء الوحيد الذي يُدخل مشاعر البهجة في يومي... هي دانة.



أرجوك... لا تتغير

قرّرت أن أقوم بخطبة دائمة بشكل رسمي، فربما وجودها بالقرب مني يجعلني أعود للحياة، وأيضاً لأنني أعرفها جيداً وأعرف أنها شريكة حياة مناسبة لي، ونملك مشاعر طيبة تجاه بعضنا البعض...

أردت أن أفتح أهلي في الموضوع في عطلة نهاية الأسبوع...

ذهبت إلى مجلس منزلنا الداخلي المميز بتصميم الطراز المغربي ذو الألوان الزاهية؛ حيث كانت العائلة مجتمعة هناك وهم يحسسون القهوة العربية ويتناولون طبق "اللقيمات" اللذيذ الذي أعدته لنا أمي، ألقيت السلام وأخذت أنسجم معهم قليلاً في مواضيع عشوائية، ثم قلت لهم على استحياء أنني أرغب بالتحدث معهم عن موضوع، عرفت أمي مباشرة من نبرة صوتي بأن الموضوع يخص الزواج، وقالت بحماس: "هل قرّرت أخيراً؟". هززت رأسي بالقبول، واستشعرت حماس وفرحة العائلة بقراري هذا، ثم اقترحت أمي ابنة جيراننا وابنة صديقة عمرها في الوقت ذاته التي كانت تتمناها لي منذ أن كنّا أطفالاً...



خَلِيفَةَ: بصراحة يا أمي، أنا أريدك أن تخطبي لي
دائنة، زميلتي من الجامعة.

أم حمد: ولكن ابنة الجيران مناسبة لك أكثر يا خَلِيفَةَ،
فهي خَلِيفَةَ ومُحَجَّبة، ولا تسافر دون أهلها كما تفعل زميلتك.

خَلِيفَةَ: والنعم بابنة الجيران فهي فتاة مهذبة فعلا وأتمنى
أن يرزقها الله الرجل الصالح، ولكن قلبي يميل لدائنة، وأراها
مناسبة لي أكثر من ناحية التوافق الفكري و...

أبو حمد: كلنا قد اختارت لنا أمهاتنا زوجاتنا وأسسنا
أفضل بيوت، أمك أدري باختيار الزوجة المناسبة لك،
دعك من هذا الكلام الفاضي وأطع رأي أمك... منذ متى
أصبح لدينا شباب يختارون زوجاتهم بأنفسهم!

سُميَّة: اسمح لي يا خَلِيفَةَ أريد التدخل، أنا فتاة من
هذا الجيل وأظن أن دائنة فتاة متحررة جداً ولا تُتاسب
عائلتنا.

خَلِيفَةَ: أرجو منكم أن تتفهموا رغبتني... أنا لا تهمني
هذه الأمور، ولا أتخيّل لنفسي زوجة غيرها.

أم حمد: أنا الذي أرجوك... زواجكم هو حلمي، وأنت
تعلم بهذا يا خَلِيفَةَ، دعني أختار لك الزوجة التي أتمناها
لك.

خَلِيفَةَ: وأنا والله أحب فعل ما يسعدكم، ولكن هذه
حياتي أنا، لماذا يكون حلم حياتك أن تزوجيني يا أمي،



ولماذا يكون حلم حياتك أنت يا أبي في الوظيفة التي تريدني أن أعمل بها، هذه حياتي أنا وأنا الوحيد الذي لديه كل الحق في التخطيط لها .

أبو حَمَد بانفعال: إلى متى ستبقى تُعصي أوامرنا يا فتى؟
ألا يكفيك ما حدث لك بعدما عَصَيْتَ أمري واثبتت هَواك؟
خَلِيفَةَ باستياء: أَتَشَمْتُ بي يا أبي؟

أبو حمد: لا أحد يَشَمْتُ بك، ولكن هذا الواقع، هذا الذي يحدث مع الإنسان الذي يعصي والديه .

خَلِيفَةَ: وأنا أبرِّككم بكلِّ الذي أقدر عليه، لكن عندما يأتي الموضوع لاختيارات حياتي، فاسمح لي يا أبي ليس من واجبي تجاهكم تحقيق أحلامكم التي تخصُّ مُستقبلي .
أبو حَمَد بغضب وانفعال: يبدو أنك لم تقدرني على تربية هذا الولد يا أم حمد!

غادرت المجلس يائساً، كنت أتوقع أنهم سيفرحون لقراري... ولكن عائلتي دائماً ما تخيِّب ظني مع الأسف الشديد... خرجت من المنزل وقمت بالجلوس على أحد الكراسي في حديقة منزلنا الخارجية؛ لألتقط أنفاسي فقد كنت أشعر بالاختناق، بعدها بقليل خرج أخي حَمَد الذي كان صامتاً طوال حديثنا في المجلس ولحقني ليأتي ويجلس بجانبني في الحديقة...

خَلِيفَةَ: حَمَد أرجوك، لست بمزاج جيد لتلقي عليَّ من



نصائحك المُعتادة.

حمد: أنا فعلاً أتيت لأنصحك، ولكن ليست نصائحي المعتادة، أتيت لأقول لك... أرجوك لا تخضع لوالدي!

خليفة وهو يرفع حاجبيه: ماذا؟

حمد: لا تتخلى عن الفتاة التي تريدها، أصر على رأيك واهب لخطبتها.

خليفة: أنت من تقول لي هذا يا حمد! أين الذي كان دائماً ينصحنى برضى الوالدين؟

حمد وهو ينظر بعيداً مُتجنباً النظر إلى أعين خليفة: صحيح، لقد كنت دائماً الولد المثالي لوالدينا، أنفذ ما يريدونه في كل شيء، لا أصغي لرغباتي ولا أهتم لها، كان دائماً هدفي إرضاءهم، ولا بأس بذلك إن كان في حدود المعقول، ولكني كنت أبالغ في الأمر وأقوم به على حساب نفسي... وكان الثمن غالياً جداً... كان خاطري الذي انكسر! خليفة: ماذا تقصد؟

حمد: لقد كنت في مثل موقفك هذا قبل أن أتزوج ابنة عمي مُهرة، كنت عاشقاً لفتاة موظفة معنا في الشركة، وكانت تنتظر مني أن أذهب لخطبتها، ولم أفعل، كنت جباناً وخذلتها، خذلت الفتاة التي أحببتها كي أتزوج من الفتاة التي يرغب والدي بأن أتزوجها، وفي النهاية ظلمت نفسي وظلمت الفتاة التي أحببتها، وظلمت مُهرة حتى، كنت أظن بأن امرأة جديدة



سُئِسِنِي الْمَرْأَةُ الَّتِي أَحْبَبَهَا، وَلَكِنِّي كُنْتُ مَخْطِئًا، فَلَا تَوْجِدُ
أَيَّ امْرَأَةٍ فِي الْكُونِ تَعَوِّضُ مَكَانَهَا فِي قَلْبِي، وَأَعْلَمُ أَنَّ مُهْرَةَ
لَيْسَ لَهَا أَيُّ ذَنْبٍ، فَهِيَ أَيْضًا ضَحِيَّةٌ، تَتَوَقَّعُ مِنِّي الْحُبَّ
وَالْمَشَاعِرَ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي يَدِي، كُلُّ مَشَاعِرِي مَعَ
الْفَتَاةِ الَّتِي أَرَاهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي الشَّرْكَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّهَا لَمْ تَعُدْ لِي،
وَلَمْ تَعُدْ حَتَّى تَطِيقَ رُؤْيِي بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَحْبِنِي وَلَا أَلُومَهَا
عَلَى ذَلِكَ... أَنَا الَّذِي أَضَعْتُهَا مِنْ يَدِي بِنَفْسِي مِثْلَ الْأَحْمَقِ
بِسَبَبِ جُبْنِي وَخُضُوعِي الْمَبَالِغِ بِهِ لِرَغْبَاتِ وَالِدِي الَّذِي لَمْ
يَرْحَمْنِي، اخْتَارَ لِي كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي وَلَمْ يَفْكَرْ يَوْمًا أَنْ
يَسْأَلْنِي عَنِ رَأْيِي.

حَلِيفَةٌ: وَمَاذَا سَتَفْعَلُ الْآنَ؟

حَمْدٌ: لَا أَسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ، فَالْفَتَاةُ الَّتِي أَحْبَبَهَا مَضَتْ فِي
حَيَاتِهَا وَلَا أُرِيدُ أَذِيَّتَهَا أَكْثَرَ، يَكْفِي الْأَلَمَ الَّذِي سَبَّبَتْهُ لَهَا، وَلَا
أُرِيدُ أَنْ أَظْلِمَ مُهْرَةَ مَعِي أَكْثَرَ، سَأَحَاوِلُ تَكْوِينَ مَشَاعِرَ لِمُهْرَةَ
وَسَأَوْفِّرُ لَهَا أَفْضَلَ حَيَاةً، فَالْإِحْسَاسَ بِالذَّنْبِ تَجَاهَهُمَا
الْإِثْتِنَانِ يَقْتُلْنِي كُلَّ يَوْمٍ، خَاصَّةً بَعْدَ حَمَلِ مُهْرَةَ... وَالشَّيْءُ
الْوَحِيدَ الَّذِي بِيَدِي الْقِيَامَ بِفَعْلِهِ الْآنَ، هُوَ إِيقَافُكَ عَنِ ارْتِكَابِ
نَفْسِ الْخَطَا...

حَلِيفَةٌ: أَنَا مَعْتَادٌ عَلَى وَقُوفِ أَبِي ضِدَّ رَغْبَاتِي، وَلَكِن
الَّذِي كَسَرَنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ هُوَ اعْتِرَاضُ أُمِّي، هِيَ الَّتِي كَانَتْ
دَائِمًا تَسْعَى لِسَعَادَتِي وَكَانَتْ تُصْبِرْنِي وَتُطَبِّطِبُ عَلَيَّ بَعْدَ
مُشَادَاتِي مَعَ أَبِي، لَمْ أَتَوَقَّعْ يَوْمًا أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَيَّ شَيْءٌ بِهِ



راحتي وسعادتي.

حمد: قلتها بنفسك، أُمي تهتم لسعادتك، وهي سهلة
لينة الطّباع، وأنا واثق من أنك تستطيع إقناعها باللين
وبأسلوبك الخاص السّاحر الذي تحبه هي.

قمت باحتضان حَمَد وشكرته، ثم أكمل وقال وهو يضع
يده على كتفي: أنت دائماً ما كنت أجزاً وأشجع مني ومن
سُميَّة، أنت أكثر شخص يعرف بالضبط ماذا يريد وكيف
يصل لما يريد، ربما والداي يقولان إنك مُتمرّد وعنيد،
وكنت أظن هذا أيضاً في السّابق، ولكني الآن فقط علمت
كم أنت شخص تحترم نفسك وتحترم رغباتك، أرجوك لا
تتغيّر يا حَلِيفَة...

وبالفعل لم أستسلم ولم أتغير... وبقيت مُتمسِّكاً
برغبتني في الزّواج من دانة، فصدقاً لا أتخيل نفسي مع
فتاة أخرى، خاصة وأنها كانت جزءاً كبيراً من تقبلي
لفقداني مَقْهَائي، فهي تحدثني كل يوم وتطمئنني وتذكرني
بمن أنا، وما زالت متمسِّكة بحلمي الذي حتى أنا قد
تخلّيت عنه، لا زالت تحاول إقناعي بأن أعود لصنع
القهوة، لدرجة أنها أهدتني ماكينة قهوة جديدة كنوع من
التحفيز، ولكن الموضوع أكبر من قدرتي، فكلما رأيت أو
شَممتُ رائحة القهوة أشعر بغصّة تخنقني...



ذهبت لأرى دانة بعد زوال الحجر الصحي لأول مرة...
كنت جالسًا في أحد المطاعم في المركز التجاري "ياس
مول" أنتظرها، كان قلبي يخفق وكأنها أول مرة أراها بها،
رجلاي تهتزّان ولم أتوقف عن فرقة أصابع يدي، لا أعلم
إن كان تلهّفًا لرؤيتها أم توتّرًا من الخبر الذي سوف
أخبرها به أم خليطًا من الاثنين معًا...

ثم دخلت دانة المقهى... كانت ترتدي عباءة سوداء
مُطرّزة، فاردة شعرها الطويل على كتفيها وتحمل بيدها
حقيبة زهرية اللون من إحدى الماركات العالمية... كانت
تبحث عني بعينيها من بعيد، وما إن رأته بعد ما لوّحتُ
لها بيدي... حتى ابتسمت وظهرت غمّازتها التي اشتقتُ
لرؤيتها، وصلت وجلست في الكرسي المقابل لي، كنا
مرتبكين جدًّا رغم أنها ليست أول مرة نلتقي بها فقد
درسنا سويا لأربع سنوات في الجامعة، ولكن هذه هي
أول مرة نلتقي بها كحبيبين... قررت أن أكون واضحًا
معها بشأن زواجنا وأخبرها بالحقيقة وعن اعتراض
أهلي، فأنا لا أريد أن أظلمها معي...



خليفة: أنا سأبقى مُتمسِّكًا بك حتى ولو وقفَ العالم
بأكمله ضديّ ثقي بذلك، ولكني أيضًا سأفهم إن كنت
تريدين المضيّ في حياتك فأنا لا أريد الوقوف في
طريقك أو إضاعة وقتك.

دانة بخجل: ومن قال لك بأن لي طريقًا غيرك!

خليفة: أنت متأكدة من هذا القرار؟ أنا سأكون واضحًا
وصريحًا معك، ربما أحتاج إلى وقت طويل حتى أنجح
في إقناع أهلي، كما أنني لا أريد أن أتزوجك غصبًا عنهم،
وأيضًا ماذا سيظن عني أهلك إن أتيتُ لخطبتك دون
حضور والدي...

دانة مقاطعة لخليفة: لا بأس سأنتظرك، وأنا متأكدة
من أنهم سيوافقون في النهاية.

خليفة: أتمنى ذلك حقًا...

كان لقاؤنا سريعًا جدًّا، فلم أكن أريد تعطيل وقتها، كان
هدفي من اللقاء هو أن أشرح لها موقفي وسبب تأخري
عن خطبتها، ولا أقدر على قول شيءٍ جدّي كهذا عبر
الهاتف أو الرسائل النصّية، فبعض الأحداث تفقد صدق
شعورها عندما لا نرى تعابير وجه المتحدث...

بقيت أفكر أثناء قيادتي للمركبة في طريقي إلى
المنزل: "كيف لي أن أترك فتاة تؤمن بي هكذا؟ وكيف
لي أن أخذل فتاة ترى العالم فيّ؟ كيف لي أن أعد نفسي



رجلاً إن قمتُ بكسر قلبها؟ لا يمكن لذلك أن يحدث...“.

عدتُ إلى المنزل يومها مُثقلًا بالمشاعر... مشاعر المسؤولية... قلوب الآخرين ومشاعرهم مسؤولية كبيرة، والعلاقات بجميع أنواعها مسؤولية، فإن كنت لا أقدر على تحمل هذه المسؤولية لا يجب علي الدخول بها... رأته أختي سُميَّة عند دخولي إلى المنزل، أتت نحوي ثم نظرت إلى عيني ولم تتطرق بكلمة، احتضنتني بشدة ثم قالت: ”تصبح على خير“. وذهبت... سُميَّة أكثر فرد حنون وعاطفي في هذا البيت، فلا عجب أنها معلّمة أولى ابتدائي فهي تملك حنان الكون في قلبها، وأعلم أنها تشعر بي وتفهمني دون أن أتكلم، ولكنها ضعيفة وليس بيدها حيلة.

وفي الليل... لم أكن أشعر بالنعاس، وهذه أول مرة أعاني بها من الأرق منذ خروجي من المستشفى بعد الغيبوبة وبعد العلاج الذي تلقّيته، قررت أن أخرج من غرفتي، ثم مررت على المطبخ التحضيرى الصّغير في الطّابق العلوي من المنزل لأشرب كوبًا من الحليب الدّافئ الذي سيساعدني على الاسترخاء، أخذتُ أعدّ كوب الحليب ولسبب ما حركت مشاعري ماكينة القهوة الجديدة التي أهدتني إياها دانة الموضوعه فوق طاولة المطبخ، قرّرت أن أجربها لأول مرة، كانت يداي ترتجفان بشدة، ولكن الفضول تملكني، كنت أرغب بمعرفة ما الذي يمكن



حدوثه إذا ضغطت على نفسي وأجبرتها على صنع
القهوة... وبالفعل فعلت ذلك، صنعتُ القهوة... شَمَمْتُ
رائحتها الفوّاحة، وقمت بخلط الحليب الدافى مع
الإسبريسو، كانت دقائق قلبي تتسارع؛ وكأنني أصنع
اختراعًا جديدًا...

وفجأة...

سمعتُ صوت بُكاء خافت، وكان هذا الصّوت يقترب
مني... خِفت... وأخذت دقائق قلبي تتسارع أكثر... فقد
كان الصّوت يشبه صوت... خيال...



فَلَّر... قَبْلَ أَنْ تَحْكَمَ عَلَى الْآخِرِينَ

التفتُ خَلْفِي بِتَرَدُّدٍ، وضعت كوب القهوة على الطَّاولَة وأخذت أمشي بخطوات بطيئة متوجهاً إلى خارج المطبخ التحضيرى... وإذا بي أرى مُهَرَّةَ زوجة أخي حَمَد تبكي في نهاية المَمَرِّ، وما إن رأته حتى فزعت، وأخذت تمسح وتخفي دموعها، ذهبت إليها وسألتها عن سبب بكائها، قالت لي إن كل شيء على ما يرام محاولة إخفاء ما تشعر به، ثم قلت لها إنني أعددت القهوة.

مُهَرَّةَ بحماس: أخيراً يا خَلِيفَة! كنا جميعاً قلقين بخصوص قطعك للقهوة هذا.

خَلِيفَة: أحقاً! ولكنّه أمرٌ عادى، فالكثير من الأشخاص لا يشربون القهوة.

مُهَرَّة وهي تضحك: الأشخاص العاديون، وليس الباريسىة... خَلِيفَة...

وما إن قالت كلمة "الباريسىة" حتى ظهرت ملامح اليأس على وجهي.



مُهْرَة: ما بك؟ ألا زلت متأثراً بإغلاق المقهى؟ فهذا الموضوع مضى عليه وقت طويل، وأنت الآن تجاوزت الأمر ومضيت في حياتك، أليس هذا ما حدث؟ ... إن كنت تريد التحدث عن الأمر وتبحث عن يسمعك فأنا هنا دائماً...

خليفة: كيف لي أن أجعلك تسمعينني وأنا لا أسمعك؟
أخفت وجهها مُحرجة مجدداً...

خليفة: نحن لسنا مجرد أبناء عم يا مُهْرَة، فمعرّتك عندي تماماً كمعزة سُميَّة، لذا أخبريني ما الذي يحدث معك؟ لماذا تبكين وحدك في منتصف الليل؟

مُهْرَة: هذه عادتي منذ فترة... أخرج من الغرفة في منتصف كل ليلة لأفرغ مشاعري.

خليفة: ولكن لماذا؟

مُهْرَة: زواجي ليس كما كنت أتوقع...

خليفة: وما هو الذي كنت تتوقّعينه؟

مُهْرَة: كنت أتوقّع بأن نكون أقرب، وأن تكون علاقتنا تشبه علاقة حمّاي وحمّاتي، يجلسان سوياً كل يوم ويُخبران بعضهما كل شيء، ويأخذان آراء بعض بعين الاعتبار، يُسافران سوياً ويخرجان سوياً...

خليفة: وما الذي يحدث بينك وبين حمد؟

مُهْرَة: حمد ليس معي...



خليفة: ماذا تعنين؟

مُهْرَة: يجلس بقُرْبِي ولكن لا يسمعني، يَسْرَحُ بِفِكْرِهِ عند حديثي معه، ولا يتذكر أي شيء يَخْصِنِي، حتى إنه ينسى عيد ميلادي وعيد زواجنا، أشعر بأنه غير مُكْتَرِث؛ وكأني جزء من أثاث الغرفة... سألتك بالله يا خليفة، هل كان حَمَدٌ مجبرًا على الزَّوْجِ مني؟

خليفة: لا أبدًا... حَمَدٌ هو الَّذِي اختارك بنفسه، ولكن هذه طبيعة شخصيته هو هكذا دائمًا، وهو يُحِبُّكَ لا تقلقي هو قال لي ذلك بنفسه.

ابتسمت مُهْرَة خَجَلًا، ومن ثم ذهب كلُّ منا إلى غرفته، أعلم أنني كذبتُ عليها، ولكن إن كان هذا الكذب سيَجْبُرُ خاطرهما وينقذ زواجهما؛ فسأقوم بفعله رغم أن الكذب ليس من عاداتي، وبعدها قمتُ بإرسال رسالة نصيةً لحمد كتبتُ بها: "أعلم أنك لا تزال تُصارع مشاعرك، ولكن مُهْرَة زوجتك تشعر بكل شيء، رأيتهَا تبكي في منتصف الليل وحدها بسبب شعورها بعدم حبك لها، حاول تجاوز الفتاة التي تحبها وإعطاء فرصة لزوجتك؛ فهي لا تستحق منك هذا الجفاء". ثم أرسلتُ له رسالة أخرى كتبتُ بها: "في كلِّ مرة أكون فيها على وشك الاستسلام لرغبات والدي بالزواج من فتاة أخرى، تذكّرني أنت أن أتمسك برأيي ولا أستسلم".

ذهبت لأخلدُ للنوم ظنًا مني بأنني فعلتُ حسنًا وحاولتُ



إصلاح علاقة أخي بزوجته، وإذا بي أسمع صوت طرقات باب قوية أفرعنتي وأيقظتني من نومي، فتحت باب الغرفة مسرعًا وكان الطَّارِقُ أخي حمد... قام بالإمساك بي من قميصي بقوة وكأنه يريد رفعني من على الأرض، قلت له بانفعال: "ما بك؟". ثم قال بغضب شديد: "ما هذه الرِّسالة التي أرسلتها لي؟ أنت مجنون؟". أجبت: "كنت أريد مساعدتك". قال: "مُهْرَة قرأت الرِّسالة قبلي ولملمت أمتعتها وعادت لبيت أهلها، وتظن بأني على علاقة بفتاة أخرى وأقوم بخيانتها".

وضعت يديَّ الاثنتين على رأسي أفكر بالمصيبة التي فعلتها ظنًا مني أنني أقوم بالإصلاح، وأخذت أعذر وأتأسَّف من حَمْد كثيرًا، ولكن ما فائدة الاعتذار الآن؟ فقد قمت بخراب بيته...

ألحيت على حَمْد وترجَّيته؛ كي يسمح لي بالذهاب إلى بيت عمي والاعتذار من مُهْرَة، وشرح لها سبب إرسالها هذه الرِّسالة، ولكنه رفض بشدة وقال لي بأن الضَّرر الذي تسببت به كافيًا، بالإضافة إلى أن مُهْرَة لا تريد رؤيته ولا الحديث مع أي شخص من عائلتنا، يا ليتني لم أحسُر نفسي بقصة ليس لي فيها دخل، ولكني والله ما أردت إلا الإصلاح...



كنت أحتسي الشاي في العصر بعد انتهائي من العمل في مجلس منزلنا الداخلي مع أختي سُميَّة، وكنا نناقش ما حدث وكيف يمكننا إصلاح زواج حمَد ومُهَرَّة الذي انهار فجأة.

سُميَّة: لا أعتقد أن رسالتك هي السَّبب الوحيد الذي جعلها تنفر هكذا وتعود إلى بيت أهلها فوراً، أعتقد أنها تراكمات منذ أول زواجهما، فأنا حقاً لا أتذكر نزهةً واحدة لهما ولا حتى هدية واحدة أتى بها حمَد لمُهَرَّة. رغم أنهما لا زالا في بداية زواجهما، والفتاة في هذه المرحلة تتوقع العاطفة والاهتمام من زوجها، ولكن مُهَرَّة لم تستقبل منه إلا الرُّوتين المُملِّ ومعاملتها؛ كأنها واجهة اجتماعية أمام والدي لا أكثر.

خليفة: هو بالفعل تزوجها لأجل إرضاء والدي هذا ما قاله لي.

سُميَّة: نعم وهذا ليس سبباً كافياً للزواج، لذلك هو لم يبذل أي مجهود لأجل الحفاظ على زواجه، فلاحق له بأن يلقي اللوم عليك الآن إن كنت تريد الصراحة.

خليفة: ولكني أشعر بالذنب الشديد يا سُميَّة، فلا



أحب أن أكون سبباً في أي مشكلة.

سُميَّة: ما حدث كان درساً لحمد؛ كي يبذل مجهوداً في علاقته مع مُهَرَّة، شعوره بالخطر الآن وأنه على وشك خسارتها في أي لحظة سيَجعله يراجع أفعاله معها.

خَلِيفَة: أَتَظُنِّينَ ذلك؟

سُميَّة: نعم بالتأكيد.

خَلِيفَة: ولكني طلبتُك يا سُميَّة، اجعلي ما حدث وموضوع الرِّسالة سرّاً بيننا، فلا أريد أن يعلم والدِينا أنني السَّبب، فأنا لست ناقصاً المزيد من عَتبهم عليّ.

سُميَّة: لا تقلق... بالتأكيد لن أخبرهما.

ثم أخذت سُميَّة هاتفها النُّقال لتُعَبِّثَ به، وفتت انتباهي خلفية هاتفها؛ حيث كانت صورة تجمع سُميَّة بطفل صغير، وهو يرتدي المريول المدرسي...

خَلِيفَة: اللهُ... ما هذه الخلفية اللطيفة، أهذا أحد طلابك؟

سُميَّة بارتباك: نعم.. نعم، هذا طالب عندي.

خَلِيفَة: يبدو أنه المميز عندك حيث تضعينه خلفية

لهاتفك؟

سُميَّة: هذا صحيح، هو بالفعل مميز.

خَلِيفَة: ما الذي يميِّز هذا الطَّالِبَ بالذَّات؟

سُميَّة: ما بك تسأل كثيراً اليوم؟ دعنا نفكر الآن بكيفية



حل مشكلة زواج حمد .

ثم دخلت أمي المجلس وهي ترتدي ثوب الصلاة...
وكانت خطواتها ثقيلة وعيناها مُغرورتين بالدموع.

سُميَّة وخليفة في آن واحد: ما بك يا أمي؟

أم حمد: إنني قلقة جدًا يا أبنائي... فمُهرة في شهر
حملها الأولى وليس من الآمن لها الشعور بالغضب.

سُميَّة: ادعي لهما يا أمي، ليس بيدنا شيء آخر.

أم حمد: لم لا تتصح أخاك يا خليفة بأن يذهب إلى
مُهرة، ويأخذ بخاطرهما.

خليفة: هو لم يفعل ذلك بعد؟

أم حمد: لا، فقد قال لي بأنها خرجت من المنزل دون
إذنه، وبأن من يزعل من نفسه... يرضى من نفسه.

نظرت إلى سُميَّة بتعجب، ثم قمت مُسرعة إلى الدور
العلوي، وأخذت أطرق باب غرفة حمد بقوة، ثم فتح لي
الباب وهو ضَجِر...

حمد: ماذا تريد يا خليفة؟ ألم أقل لك إنني لا أرغب
برؤيتك؟

خليفة: أصحيح ما قالته أمي؟ ألم تذهب إلى مُهرة
لتعتذر منها وتعيدها إلى المنزل بعد؟

حمد: لا ولن أقوم بفعل ذلك! فهي من تركت المنزل



بنفسها، لم عليّ أنا الاعتذار؟

خليفة: أنت مجنون؟ المرأة في شهور حملها الأولى
ومن المؤكد أنها تمرّ بالكثير، هي تحتاج منك الدعم
والمساندة في هذه الفترة وليس الجفاء والهجران!

حمد: إذا تريد مني الدعم يجب عليها أن تطيعني لا أن
تخرج من المنزل دون علمي، وتظهرني بصورة بشعة أمام
أبي وعمي!

سكت لثوانٍ... ثم أدركت أمراً...

خليفة بهدوء: هل تفعل هذا لأنك تشعر بالذنب
تجاهها؟

حمد: ماذا تعني؟

خليفة: هل تحاول إعطاءها فرصة لتترك كي ترى
حياتها ولا تظلمها معك أكثر؟

خفضَ حَمَدَ رأسه محاولاً تجنب النظر إلى عيني...

خليفة: هذا لن يُغير شيئاً يا حمد، مُهرة تحبك وهي
سعيدة معك، ولا تُريد أن ترى حياتها مع شخص آخر.

حمد: كيف تعرف؟ فهي لم ترَ مني ما يستحقّ ذلك!

خليفة: مُهرة كانت تبكي حرقه وحدها في الليل بسبب
جفافك معها، والله لو سمعتها لكاد قلبك أن يتقطع، لا
توجد امرأة تبكي بهذا الشكل من أجل رجل لا تحبه.



لم يرد حَمَد على كلامي وبقِي صامتًا، تركُّته يفكر
بكيفية التصرّف، ثم نزلت إلى الطَّابق السّفلي لأُطمئنَ
أمي بأن كل شيء سيصبح بخير...

أم حمد: ومتى ستفرح قلبي برؤية زوجتك يا خَلِيفَة يا
حبيبي؟

خَلِيفَة: عندما تُوافقين على خطبة دَانَة لي...

أم حَمَد بوجهٍ عابس: ألم تنسى تلك الفتاة الملعونة!
خَلِيفَة: أرجوك يا الغالية لا تُخطئي في حقها.

أم حمد: وتُدافع عنها أيضًا!

خَلِيفَة: بالطبع، فهي الفتاة التي أتمناها وكرامتها من
كرامتي، وإذا كنتِ تهتمين لأمرِي حقًا يا أمي... فلا
تكسري قلبي بها.

أم حمد: سلامة قلبك يا بُني، لماذا تقول شيئًا كهذا!
من المستحيل أن أكسر قلب ابني حبيبي.

خَلِيفَة: لأن قلبي سيكسر إن لم أتزوج دَانَة، لماذا لا
تقدروا على فهمي؟

أم حَمَد: لأن هذه الفتاة لا تناسبك.

خَلِيفَة: وكيف حكمتِ عليها بذلك وأنت لا تعرفينها؟

أم حَمَد: لا أحتاج أن أعرفها لأعرف أنها غير مناسبة،
هي فتاة من قبيلة عادية، ومستوى أهلها الاجتماعي



والمادي ليس بالمستوى الذي أتمنى أن يكونوا نسبًا لنا .
خليفة: لا يهمني هذا كله! فأنا لن أعيش مع قبيلتها
ولا مع مستوى أهلها الاجتماعي، أنا سأعيش معها هي،
مع روحها وشخصيتها وعقلها، هذه الفتاة تفهمني من
عيني يا أمي، تقول العبارات التي تطمئنني حين أكون
خائفًا، تلقي النكات التي تضحكني حين أكون غاضبًا،
وتعيد الأمل إلى روحي حين أكون يائسًا .

أم حمّد: ولكن المجتمع لن يرحمنا!
خليفة: وإذا كان المجتمع متخلفًا، هل يجب أن نكون
متخلفين مثله؟

أم حمّد: هذه عاداتنا يا بُني، هل رأيت أحدًا من
العائلة تزوج فتاة من قبيلة عادية كقبيلة دانة؟ والله
سيتكلمون عنك بسوء وأنا لا أريد هذا لك!

خليفة: يا أمي دانة لم تختّر قبيلتها كما لم اختر أنا
قبيلتي، لو كان بإمكان المرء أن يختار قبيلته وشكله ولونه
ومستواه الاجتماعي لكنا جميعًا اخترنا أفضل مستوى،
ولكن لا أحد فينا اختار! فلماذا نظلم الآخرين بالحكم
عليهم بشيء لم يختاروه!

أم حمّد: أنا أفهم ذلك، ولكن ألا تريد فتاة تتباهى بها
أمام المجتمع وأمام قبيلتنا؟



خَلِيفَةَ: سأَتباهى بها في كل الحالات، حتى لو كانت من أبسط القبائل في نظر المجتمع.

أُم حَمَد: ما الَّذي فعلته بك هذه الفتاة حتى تجعلك مُتمسِّكًا بها هكذا؟ هل سَحَرْتِك؟

خَلِيفَةَ: لا، بل أعطتني شيئًا، كنت أبحث عنه طوال حياتي...

أُم حَمَد: وما الَّذي أعطتك إِيَّاه؟

خَلِيفَةَ: أعطتني القبول...

أُم حَمَد: ما هذه السَّخَافَة الَّتِي تَتَفَوَّهُ بها يا خَلِيفَةَ!

خَلِيفَةَ: ربما هي بالنسبة لك سَخَافَة، ولكنها بالنسبة لي مُرادِي، دَائَة تقبلني كما أنا، تُحِبُّني بلا شروط... تفهمني من عيني، لا تحاول تغييرني أبدًا ولا تنظر لعيوبي أو نواقصي، تحب أفكارِي الغريبة، ويعجبها شغفي المختلف، وتشجعني على أحلامي وتتخيَّلها معي، حتى في ظُرْفِي هذا... لا زالت متمسكة بشغفي وأحلامي الَّتِي نسيئُها أنا بنفسِي.

أُم حَمَد: أَلَمْ نُعْطِك كُلَّ ذَلِكَ نحن؟

خَلِيفَةَ: أنتم أعطيتموني الحب الَّذي تعرفونه والَّذي تربيتم عليه، وهو حبٌّ خالٍ من القبول ومليء بالشروط... تحبوني في مقابل أن أكون مثلما تريدون وعندما أتماشى مع توقُّعاتكم عني فقط، ولكنكم لا تحبوني كما أنا مع



الأسف الشديد... طوال حياتي وأنا أستشعر رفضكم لي ولطموحي... والآن ها أنتم من جديد ترفضون رغبتني بالزواج من الفتاة التي أتمناها...

أُم حَمَد: لأننا نهتم لمصلحتك... انظر لأخيك حمد، انظر كيف تمّت أموره بسرعة وسهولة ولم يعترض على شيء، لم لا تقتدي به؟

خَلِيفَة: هل ترينَ بأن حياة حَمَد مُستقرّة بعد أن أطاعكم على حساب نفسه؟

أُم حَمَد: ماذا تعني؟

خَلِيفَة: ركّزي قليلاً في تفاصيل حياته وستفهمين الذي أعنيه، حَمَد تعيشُ يا أمي، يعيش حياة لا تشبهه، وها هو زواجه الآن على وشك الانهيار، ما الذي استفاده من الطّاعة العمياء؟!

أُم حَمَد: ولكن هذه المشاكل تحدث في كل بيت وفي كل زواج، بكرة ستتزوج وتجرب بنفسك.

خَلِيفَة: لن تحدث هذه المشاكل لو كان البيت ذا أساسٍ صحيح.

أُم حَمَد: متى أصبحت فيلسوفًا هكذا يا خَلِيفَة؟!

وفجأة خلال حديثنا...

مشى من أمامنا حَمَد، وهو صاعدٌ للطابق العلوي، ذاهب إلى غرفته بخطوات سريعة ووجهه أحمر عابس،



ثم أغلق الباب خلفه بقوة شديدة حتى إننا شعرنا بأن المنزل قد اهتزَّ من قوة غلقه للباب. ذهبنا مسرعين أنا وأمي نطرق بابه ونطلب منه أن يفتح لنا، تجاهلنا في البداية، ولكن بعد إلحاح طويل فتح الباب أخيراً...

أُم حَمَد: ما بك يا حمد؟

خَلِيفَة: ما الذي حدث؟

حمد بنبرة مُحبطة: لقد طَلَّقت مُهرة...



بعد كلِّ عُسْر... يُسر

نظرنا أنا وأمِّي إلى بعضنا البعض بدهشة مستغربين ما سَمِعناه للتو، ثم أغلق حَمَد الباب في وجوهنا من جديد، وصرخت أمِّي: "افتح الباب!". أخذت أمِّي من يدها وقلت لها: "دعيه، ربما يريد أن يبقى وحده، دعيه يحاول هضم ما حدث". ثم نظرت لي أمِّي بنظرات غريبة شعرت؛ وكأنها تريد أن تقول بأنها فهمت الذي كنت أحاول شرحه لها، ولكنها لم تتطرق، وأعلم أنها كبرياًؤها... كبرياء الأهل عندما يدركون أنهم كانوا على خطأ لكن لا يرغبون بالاعتراف بذلك...

وفي اليوم التالي... كنت في غرفتي في الصُّباح أستعد للذهاب إلى العمل، وفجأة سمعت طرْقاً خفيفاً، التفتُّ حولي بسرعة ظناً مني بأن خيال ستظهر من جديد، ولكني سرعان ما رأيت أمِّي وهي تدخل الغرفة وتحمل بيدها البخور، فعلمت أنها هي من كانت تطرق الباب...

أم حَمَد: صباح الخير يا حبيبي.

خليفة تاركاً قبلة على جبين أم حَمَد: صباح النور يا

الغالية.



أُم حَمَدَ: متى تريدني أن أذهب لخطبة دانة؟

خَلِيفَةَ بدهوة: أحقًا! هل وافقتِ؟!

أُم حَمَدَ: بصراحة فكرت في حديثنا البارحة، وقررت أن أختار سعادة ابني فوق المجتمع والقبيلة وكل شيء آخر... لا أريد أن ينتهي بك المطاف كنهاية زواج حمد، ولا أريد أن أظلمك باختياري لك زوجة لا تتاسبك.

احتضنت أُمي بقوة وأنا أشكرها وأصرخ حماسًا، ولكنني انتبهت لعينيها التي كانت تنظر لي بنظرات تملؤها اليأس.

خَلِيفَةَ: ما بك يا أُمي؟ ألسنتِ سعيدة؟

أُم حَمَدَ: بلى.

خَلِيفَةَ: أعرف نظراتك تلك.

أُم حَمَدَ: أنا فقط حزينة لأجل موضوع طلاق حَمَدَ ومُهَرَّة، أشعر أنني كنت السبب في ذلك فأنا التي ذهبت لخطبتها.

خَلِيفَةَ: لا تلومي نفسك يا أُمي، كان اختيار حمد.

أُم حَمَدَ: ولكنه اختارها كي يرضينا أنا ووالده.

خَلِيفَةَ: وكان بإمكانه الاعتراض لكنه لم يفعل.

ضميت جسد أُمي الصَّغير إلى حضني بعدما رأيت

دموعها التي بدأت تنهمر...



خَلِيفَةَ: ادعي لهما بالصَّلاح يا أُمِّي، ولا تبكي أرجوك
فدموعك غالية جدًّا.



بعد مرور ثلاثة أشهر...

كنت أتأرجح على كرسي أرجوحة يطلُّ على بحرٍ مياهُه
زرقاء صافية؛ حيث يمكنني رؤية الأسماك بوضوح من
شدة نقاء المياه، أشعر بتيار الهواء المنعش على وجهي
وجسدي، وأسمع زقزقة العصافير، ومزاجي عال العال،
وإذا بي أسمع صوتًا ناعمًا جدًّا يغني أحد مقاطع أغنيتي
المفضلة للمطربة "أصالة"، ثم أكملت الأغنية بمقطعي
المفضل...

أنا أبغى حبنا راقي يودينا بعيد هناك ...

لدنيا ما بها فرقا ولا كذبا ولا غدري

إذا على الوصل أنا أعاهد وربى ما بيوم أجفاك ...

لخجل بالعطى غيري وأجازي صبرك وصبري

(كلمات: العالية)

حَلِيفَة: ستبقى هذه الأغنية أغنيتنا دائماً...

دانة: لا أصدق أن هذا هو آخر يوم لنا في شهر
العسل، لا أريد العودة، أو بالأصح لا أريد مغادرة جزر
المالديف.



خَلِيفَةَ: أنا لا أصدق والله أنك أخيراً صرت لي بعد كل ذلك العناء.

دانة: صحيح... أنت لم تخبرني حتى الآن، كيف أقنعت أهلك بزواجنا؟

خَلِيفَةَ: لا عليك من هذا دعينا نذهب ونُلِمِّم أمتعتنا؛ لنلحق بموعد الطَّائرة.

عدنا إلى أبوظبي بسلام، وما إن دخلنا المنزل حتى سمعت زغاريد أمي وأختي سُمَيَّة وهما تُهَلَّلان وترحَّبان بنا، وأخذنا أنا ودانة نعطي العائلة الهدايا التي أحضرناها من السَّفر والتي تسمى باللهجة العامية "الصَّوغة"، ثم حكينا لهم كيف قضينا أسبوعنا في جزر المالديف الجميلة وأريناهم الصُّور التي قمنا بالتقاطها...

وبعدها صعدنا إلى الدُّور العلوي لنتراح من إرهاق الرِّحلة، ولكنني تفاجأت بأخي حَمَد -الذي لم يكن معنا في المجلس عند فتح الهدايا- وهو يجلس على أحد الكراسي في الطَّابق العلوي، وكانت وضعية جلوسه تبدو؛ وكأنه مكسور ووجهه شاحب جدًّا، طلبت من دانة أن تذهب وتتنظرني في جناحنا، ثم جلست بالقرب من حَمَد وأنا أمسح على كتفه بيدي...

خَلِيفَةَ: ما بك يا حمد؟ ولم لم تستقبلنا مع باقي العائلة في الطَّابق السِّفلي؟



حمد: لا شيء، أنا فقط مُرهق من العمل.
خليفة: هذه أول مرة أراك بها بهذا المنظر، ما الذي حدث؟ هل هناك خطب ما بمُهرة أو الجنين؟
حمد: لا لا هما بخير، بالكاد أسمع أخبارهما من أمي.
خليفة: أما زالت مُهرة لا تريد العودة؟
حمد: دعها وشأنها.
خليفة: ولم لا تحاول؟
حمد: لماذا أحاول؟ لأعيدها هنا لتعيش في حياتها التعيسة معي؟
خليفة: ما هذا الكلام يا أخي؟
حمد: لقد ظلمت مُهرة معي بما فيه الكفاية، لا أريد أن أظلمها أكثر!
خليفة: إذا ما بك؟
حمد: أخاف أن أبوح لك بما في داخلي وتحكم عليّ بأني رجلٌ وغد.
خليفة: لن أحكم عليك... هذا وعد مني.
حمد: أتتذكر الفتاة التي أخبرتك عنها؟
خليفة: زميلتك في العمل التي كنت تحبها؟
حمد: نعم... لقد كان زواجها ليلة البارحة.
خليفة: حسناً؟ أليس هذا أمراً جيداً؟ الآن أنت مطمئن



من أنها في وضع جيد، ويستطيع أن يرتاح ضميرك.

حمد: ولكني لست مرتاحًا منذ أن علمت بذلك.

خليفة: لماذا يا حمد؟ ألا زلت تحبها؟

حمد: كان دائمًا لدي أمل من أنها ستكون لي في يوم من الأيام، ولكني كالأحمق أضعتها من يدي بكل غياب، وها هي الآن تزوجت ونستتي، لا أقدر على مسامحة نفسي...

بقيت أطبب على حمد بيدي أحاول تهدئته، كنت أشعر بالشفقة على حاله، لماذا فعل ذلك بنفسه؟ لماذا كسر قلبه بيده؟ هل إلى هذا الحد كان يهّمه رأي والديّ والمجتمع به؟



فتحت عينيّ وهما مُثقلتان جدًّا... أنظر إلى سقف
غرفتي، التفتُّ يساري لأبحث عن دانة التي نهضت
مسرعةً لتلتحق بعملها، أحاول النهوض للالتحاق أنا الآخر
بعملي، لكنني لا أستطيع، جسدي ثقيل جدًّا وأتحرك
بصعوبة، لماذا يجب عليّ الذهاب إلى هذا العمل المُملّ
كل يوم؟

هذا شعوري منذ أول يوم عمل لي في هذه الوظيفة،
لكنه بدأ يزداد سوءًا كل يوم إلى أن وصل إلى هذا الحد،
ظننت بأن زواجي من دانة سيسهل عليّ الأمر، لكنني
أدركت لاحقًا أنها ليست أخصائيتي النفسية كي تعالجني
من كل ما أشعر به، فهي الأخرى لديها الكثير في حياتها،
ومؤخرًا بدأت تراودني فكرة الذهاب إلى الدكتور نزار
مجددًا، فربما لديه الحل...

بعد انتهائي من عملي في المساء... اتصلت على دانة
لأخبرها بأنني سأتأخر اليوم للخروج مع أصدقائي رغم
أنني كنت أنوي الذهاب إلى عيادة الدكتور نزار ولكنني لا
أريد أن أقلقها على حالي، فأجابتنى بردها المعتاد: "أنت
تخرج كل يوم وتتركني وحدي في المنزل مع والدتك التي



ما إن تراني حتى تبدأ بإلقاء تعليقاتها الجارحة عليّ؛ أنت لا تجيدين الطبخ مثلما يحب ابني خليفة، أنت تعودين إلى المنزل متأخرًا بعدما يأتي خليفة، لباسك لا يناسب عاداتنا وتقاليدنا، و و و..“ . ورددتُ عليها بردّي المعتاد: ”دعيني أنتهي وأعود إلى المنزل وسأقوم بالحديث مع والدتي“. أغلقت الهاتف وأنا صَجِرٌ ومالٌّ من حياتي.

وأخيرًا وصلت إلى عيادة الدكتور نزار ولكن ما إن وصلت ورأيت العيادة حتى أصابتنى أعراض غريبة، شعرت بدقات قلبي تتسارع وضيق شديد في التنفس، وجسمي بدأ يرتعش ويتصبّب عرقًا، لا أعلم لماذا حدث هذا معي ولكنني عدت مسرعًا إلى المنزل هاربًا من ذلك الشعور الذي أعاد لي مشاعري وذكرياتني مع خيال الملعونة...

وبعد يومين... قررت المعاودة، وذهبت مرة أخرى إلى عيادة الدكتور نزار محاولًا مواجهة ذكرياتي المؤلمة، ولكنني هذه المرة كنت أقوى واستطعت التّزول من المركبة والمشّي إلى مدخل العيادة، لم يكن الأمر سهلًا؛ كنت أشعر بأن قلبي سيخرج من صدري من شدة خفقانه، وما إن فتحت الباب حتى لامست يدي يد فتاة، ازداد خوفي وازدادت دقات قلبي تسارعًا؛ خاصة بعدما ظهرت الفتاة أمامي وكانت...



الصدمة

خليفة: سُميَّة؟ ماذا تفعلين هنا؟
سُميَّة بارتباك شديد: أتيت لأعالج بشرتي من حبّ
الشباب ...

خليفة: ما الذي تقولينه؟ هذه عيادة الدكتور نزار وهو
أخصائي نفسي؟!

سُميَّة: نعم هذا صحيح، لقد أخطأت في العنوان.
ثم ذهبت مسرعة إلى مركبتها، وبقيت أتساءل؛ ما
الذي تفعله سُميَّة هنا؟ أحقًا أخطأت في العنوان مثلما
قالت؟ أم أنها تتعالج عند الدكتور نزار ولا تريد إخباري
بالأمر؟ ولكن لماذا لا تريد إخباري، فأنا بحد ذاتي آتي
للعلاج هنا؟

نسيت أمرها وأخذت أمشي بخطوات ثقيلة جدًا
وقدمائي ترتعشان إلى داخل العيادة، وبالصدفة كان
الدكتور نزار خارجًا من مكتبه وما إن رأني حتى صرخ
بكل حماس: "خليفة!!". ثم دعاني فورًا إلى مكتبه وكان
يقول لي إنه كان ينتظر قدومي منذ أن خرجت من الغيبوبة



وأخذ يسألني عن الكثير ولكني لم أكن أسمعه، كنت أنظر حولي وأتأمل مكتبه ورأيت الأريكة ونبتة الخزامى لم يتغيّر مكانهما، وكنت أشعر أنني على وشك الاختناق والسقوط...

وبالفعل... لقد فقدت وعيي لبضع دقائق، واستيقظت والدكتور نزار يرشّ ماءً باردًا على وجهي وهو يحاول إيقاظي، وأخذ يسألني: "خليفة، هل أنت بخير؟ أسمعني؟ هل تناولت الطعام اليوم؟". نظرت إليه وأنا أفتح عيني بثقل وقلت له: "أخرجني من هنا... بسرعة أرجوك!". ثم ساعدني الدكتور نزار في المشي للخروج من العيادة، وأخذني إلى شاطئ كورنيش أبوظبي المطل على أبراج الاتحاد والذي كان قريبًا من عيادته، وطلب مني خلع نعليّ للمشي على الرّمل بقدمين حافيتين، كي يسحب الرّمل الضغوطات والطاقة السلبية من جسدي كما يقول.

الدكتور نزار: بماذا شعرت عندما دخلت العيادة؟

خليفة: كنت أشعر برعشة قوية في جسدي وتسارع في دقات قلبي، وهذه لم تكن المرة الأولى، فقد حاولت المجيء إلى عيادتك من قبل، ولم أكن قادرًا على الدخول حتى.

الدكتور نزار: أظنّ بأن هذه أعراض الصدمة التي مررت بها يا خليفة.

خليفة: ماذا تعني؟



الدكتور نزار: عيادتي هو آخر مكان قمت بزيارته قبل وقوع الحادث، وقبل أن تخسر مقهاك؛ لذلك ارتبط المكان بالصدمة التي تعرضت لها.

خليفة: ولكنني أشعر بأنني قد تعافيت مما حدث، فهذا أنا الآن أعمل بوظيفة براتب جيد، وتزوجت من الفتاة التي أحبها الحمد لله.

الدكتور نزار: أنت تعايشت مع الصدمة، ولكنك لم تتشاف منها.

خليفة: كيف يا دكتور؟ أنا أشعر بأنني بخير...

ما إن قلت تلك الجملة... حتى حصل حادثٌ مُرّوع في الشارع قُرب الشاطئ، وما إن سمعت صوت اصطدام المركبات ببعضها حتى شعرت بنفس الرّعدة وتسارع دقات القلب وضيق النّفس، ساعدني الدكتور نزار مجددًا وأعطاني كيسًا كان يحمله بعدما أفرغ منه بعض الطّعام الذي اشتراه لي، وأخذت أتنّفس داخل الكيس حتى أصبحت قادرًا على التنفس بشكل أفضل، ثم قلت له: "أرجوك، خُذني بعيدًا من هنا!". هزّ الدكتور نزار رأسه بالقبول، وأخذني إلى مركبته ليعيدني إلى المنزل حيث إنني لم أكن قادرًا على القيادة، وأخذ يشرح لي حالتي ونحن في الطّريق...

الدكتور نزار: لو كنت تشعر بأنك بخير، لم يكن لهذا



الحادث أن يفعل بك ذلك، صحيح أنه كان حادثًا مروّعًا، ولكن الشخص الطبيعي الذي لا يملك صدمات تخصّ حوادث المركبات لن يتعرض للأعراض التي تعرضت إليها أنت، وأنا أشكرك لأنك جاهدت نفسك ودخلت إلى عيادتي اليوم؛ كي أتمكن من فهم ما تمرّ به، وأستطيع مساعدتك.

خليفة: كيف ستُساعدني؟

الدكتور نزار: سنقوم بعمل جلسات عديدة بتقنيات فكّ الصدمات؛ كي نساعدك على التّجاوُز، أخبرني... هل ما زلت تصنع القهوة اللذيذة؟

خليفة بنبرة حزينة: لا...

الدكتور نزار: توقعت ذلك.

خليفة: كيف؟

الدكتور نزار: صنع القهوة أيضًا مرتبط بالصدمة عندك، هل تشعر بنفس الأعراض عندما تحاول صنع القهوة؟

خليفة: أشعر بالنّفور من القهوة بشكل عام، وكأنني لا أريد رؤيتها ولا شمّ رائحتها حتى، منذ فترة بسيطة حاولت صنع كوبٍ من القهوة في منتصف الليل، ونجحت في ذلك لكنني لم أكن مرتاحًا عند صنعها، كانت يداي ترتجفان وقلبي يدق بقوة، فلم أعاود الكرّة مرّةً أخرى.

الدكتور نزار: نُفورك من القهوة هو محاولة عقلك اللّا



واعي لحمايتك .

خليفة: ماذا تعني؟ حمايتي من ماذا؟

الدكتور نزار: فقدانك للمقهى سبب لك ألمًا كبيرًا، وصنع القهوة هو ما كنت تفعله في المقهى لذلك هو يُعيد إليك هذا الألم؛ ولهذا السبب أصبحت تشعر بالنفور من صنع القهوة كطريقة عقلك اللا واعى في حمايتك من الألم.

خليفة: ولكني أشعر بأني لم أعد شغوفًا بصنع القهوة، فأنا الآن أبذل مجهودًا أقل بكثير من الذي كنت أبذله في المقهى، وأملك وقتًا أكثر لنفسي وأهلي وزوجتي.

الدكتور نزار: إذا لماذا أتيت إلى عيادتي اليوم؟

خليفة بعينين مغرورتين بالدموع: لأنني لست سعيدًا، حياتي تبدو مثالية نعم، ولكنها لا تشبهني أبدًا، أشعر أنني أعيش حياة شخص آخر، أشعر أنني فقدت نفسي عندما فقدت المقهى...

أجهشت بالبكاء بعدها، وكنت أحاول إخفاء دموعي بيدي كي لا يراها الدكتور نزار، شعرت بالحرج الشديد ولكنه طمأنني وقال: ”البوح بالذي تشعر به والتعبير عنه هو أول خطوة في التعافي“. ثم وصلنا إلى منزلي ونزلت من المركبة، وطلب مني أن أرتاح اليوم وبأننا سنكمل نقاشنا في الغد، كنت أشعر بالإرهاق فعلاً، وأحتاج إلى نوم عميق وطويل.



دخلت المنزل متوقعًا بأن يكون هادئًا، وأن يكون الجميع نائمًا نظرًا للوقت المتأخر، ولكن ما إن دخلت المنزل حتى تفاجأت بشكاوى أمي وزوجتي من بعضهما البعض التي انكبّت علي في آن واحد... لم أكن قادرًا على سماع أي شيء وكنت منزعجًا جدًا من هذه النزاعات التي لم تتوقف منذ أن تزوجت، صرخت وقلت: "هذا يكفي!". فزعت الاثنتان من ردة فعلي التي لم تتوقعانها، ثم ذهبت مسرعًا إلى غرفتي للنوم.

وفي صباح اليوم التالي... كنت مثقلًا جدًا ولم أكن قادرًا على الذهاب إلى العمل خاصة بعد الذي حدث معي ليلة البارحة، لذا تواصلت مع مديري واستأذنت لآخذ هذا اليوم إجازة، ومن ثم خرجت من المنزل بشكل طبيعي وكأني ذاهب إلى العمل رغبةً مني في حلّ مشكلتي دون أن أثير قلق العائلة عليّ، وأيضًا لشعور عميق بأنهم لن يفهموا... ولكني تذكرت أن مركبتي لا تزال في عيادة الدكتور نزار عندما خرجت من المنزل ولم أجدّها، أخذت هاتفي كي أطلب مركبة أجرة، ثم رأيتي سُميَّة التي خرجت خلفي مباشرة وقالت: "هل تريد أن أوصلك إلى عيادة الدكتور نزار لتأخذ مركبتك؟". رددت عليها مستغربًا: "وكيف عرفت أن مركبتي هناك؟". قالت بارتباك: "توقّعت ذلك لأننا تصادفنا هناك البارحة". تذكرت ثم قلت لها: "وهل وجدت عيادة الجلدية التي



كنت تبحثين عنها؟“. ضحكت بارتباك ثم دعنتي إلى مركبتها.

وفي طريقنا... كان الوضع بيننا غريبًا، حاولت تلطيف الأجواء بفتح بعض المواضيع العشوائية لكنني لاحظت شرود سُميَّة وعدم تفاعلها معي كعادتها، فهي أكثر من يسمعي من بين أخوتي... لم لا تسمعي اليوم؟ ثم فجأة سألتني وكأنها كانت تفكر بالأمر طوال الطريق: ”ما الذي كنت تفعله في عيادة الدكتور نزار؟ هل ما زلت تتعالج عنده؟“. جاوبتها: ”لا لم أذهب إليه منذ يوم الحادث، ولكنني مؤخرًا أشعر ببعض الضغوطات وأردت المساعدة“. قالت: ”هذا جيد... هل قال لك شيئًا؟“. قلت لها: ”نعم تحدثنا كثيرًا وقال لي الكثير...“. ثم لاحظت ارتباكًا شديدًا بدا واضحًا عليها، فسألتها: ”ماذا بك يا سُميَّة؟ لماذا أنت غريبة اليوم؟“. قالت: ”هيا لقد وصلنا وها هي مركبتك، أراك لاحقًا“. نزلت من مركبة سُميَّة وركبت مركبتي وأخذت أرتدي حزام الأمان بشكل طبيعي ولكنني رأيت شيئًا غريبًا من مرآة مركبتي الجانبية، رأيت الدكتور نزار وهو يقف عند مركبة سُميَّة ويحدثها من الشباك... ما الذي يحدث؟ هل الدكتور نزار يعرف أختي سُميَّة؟ هل هي تتعالج عنده؟ إذا لماذا لم تُخبرني بذلك؟ لا أفهم...



انتابني الفضول... لذا قررت ألا أحرك مركبتي وأبقى واقفًا لأرى ما القصة... وبعد بضع دقائق رأيت الدكتور نزار وهو يفتح باب المركبة ويجلس بجانب سُميَّة، وما إن رأيت ذلك حتى جنّ جنوني، نزلت مسرعًا من مركبتي متوجهًا إليهما، فتحت الباب الذي يجلس به الدكتور نزار وقمت بضربه عدة لُكُمات وأنا أقول: ”ماذا تريد من أختي أيها الخسيس!“. وكنت سأتابع ضربه لكن رجال الأمن الخاصين بمبنى العيادة أوقفوني بقوة، شعرت بالغضب الشديد منه، وكنت أرى سُميَّة وهي خائفة ومصدومة مني؛ فهذه أول مرة تراني بها غاضبًا إلى هذا الحد...

أراد رجال الأمن أن يطلبوا لي الشرطة ولكن الدكتور نزار منعهم من ذلك، وطلب منهم بأن يدعوني ويذهبوا، سألوه إن كان متأكدًا من ذلك، هز رأسه بالإيجاب وهو يحاول التقاط أنفاسه ومسح الدماء التي كانت تسيل من أنفه بعد كم اللُكُمات التي تلقاها مني، جلسنا ننظر إلى بعضنا البعض بنظرات غريبة لثوانٍ قليلة، ثم التفت الدكتور نزار يبحث عن سُميَّة التي فرّت بنفسها سريعًا، وقال لي وهو يلهث: ”سُميَّة تمرّ بحالة نفسية سيئة يا خَلِيفَة وهي تتعالج عندي منذ فترة، أرجوك الحَق بها وطمئننها وتأكد أنها بخير... ولا تخيفها منك“.

استوعبت لحظتها حماقة تصرُّفي، بالفعل لماذا تصرفت بهذا الشكل الهجومى دون تفكير؟ ذهبت مسرعًا



أحاول اللّحاق بمركبة سُميَّة، وأنا أتصل على هاتفها النّقال في الوقت ذاته، ولكنها لم تكن تجب، ثم اتصلت على دانة وسألتها إن كانت سُميَّة قد عادت إلى المنزل، قالت لي دانة: ”لا أعلم لكن دعني أرى من شبك غرفتي لو مركبتها موجودة... نعم مركبتها موجودة في الخارج هي في المنزل“. الحمد لله أثلج صدري ذلك، ذهبت إلى المنزل مسرعًا، وصعدت إلى الدّور العلوي إلى غرفة سُميَّة، طرقت الباب كثيرًا، ولكنها لم تكن تجيب مما أثار قلقي أكثر، ولم أكن أريد أن يشعر بي أي أحد من أفراد العائلة لذلك التزمت الهدوء، جلست عند باب غرفة سُميَّة وقلت بصوت هادئ: ”أنا آسف يا سُميَّة لقد فهمت خطأ وشرح لي الدّكتور نزار، سامحيني والله لا أعرف لماذا تصرفت بهذه الطّريقة الوحشية، ربما لأنني أحبك كثيرًا وأخاف عليك أكثر يا حبيبتني، أنتِ تعلمين كم أنك أغلى شيء في هذه العائلة بالنّسبة لي، وأنا سأبقى هنا عند باب غرفتك ولن أتحرك حتى تفتحي لي“. وبعدها بدقائق قليلة فتحت سُميَّة لي الباب وعلامات البكاء واضحة على وجهها، شعرها البنيّ القصير يبدو منفوشًا وعيناها الجميلتان ذات الرّموش الطّويلة تبدو وارمة جدًا. فتحت يدي مؤشّرًا لها بأن ترمي نفسها في صدري لأعانقها، ثم قبلتها على رأسها واعتذرت منها مجددًا على سلوكي، رفعت رأسها وهي تنظر إليّ وقالت: ”لم أرد إخبار أحد



أنني أتعالج نفسيًا كي لا أثير قلق أحد، وأنت تعلم رأي والديّ عن هذا الموضوع، سيّنتعاني بالمجنونة لو قلت لهم ذلك و... ”. قلت لها مقاطعًا: ”لا تُبزري؛ هذا أمر خاص بك وحقك، أنا لست أبي ولا حمد... لن أحاسبك ولن أطلب منك تبريرًا وشرحًا طويلًا، كل الذي سأقوله لك هو إن كنتِ تحتاجين إلى المساعدة فأنا هنا دائمًا“. ابتمت سُميَّة ثم قالت: ”ماذا حدث مع الدكتور نزار؟“. ضربت يدي على جبيني وقلت: ”صحيح يجب أن أذهب وأعتذر منه على ما بدر مني... أراك لاحقًا“.

دخلت مكتب الدكتور نزار ببُطء بعد أن قالت لي موظفة الاستقبال إنه ألغى جميع جلساته اليوم، كنت خائفًا جدًّا من المكان ولكنني جاهدت نفسي كي أعتذر منه وأطلب السّماح، كان يجلس على كرسيّ مكّتبته وهو يضع الثلج على أنفه الذي يبدو متورّمًا جدًّا، وعندما رأيته قال بسرعة وانفعال: ”هل وجدت سُميَّة؟ هل هي بخير؟“. هزرت رأسي بالإيجاب ثم اقتربت منه أكثر وسألته: ”هل أنت بخير؟“. قال لي بببرة جادة لم أعتدّها منه: ”مثلما ترى“. خفضت رأسي واعتذرت له بشدة على تصرفي، ثم سألتني: ”لماذا تصرفت بهذا الشكل يا خليفة؟“. قلت له: ”أنا حقًا لا أعرف لماذا بدر مني هذا التصرف، عندما رأيتك تجلس بجانب أختي جن جنوني يا دكتور“. سألتني باستغراب: ”جنّ جنونك لماذا؟!“.



فكرت قليلاً ثم قلت له: ”ربما لأننا تربيّنا على أن الرّجل يجب أن يكون غيورًا على أهل بيته و...“ . قال مقاطعًا: ”ولكنك تعلم بأنني أخصائي نفسي، ماذا سأكون أفعل مع أختك مثلًا؟“. قلت له: ”هذا صحيح، تصرفي كان همجيًا وليس له مُبرّر، أعتذر منك مجددًا وإذا لم تكن ترغب بمعالجتي من الآن فصاعدًا سأتفهم ذلك“. سكت لبضع ثوانٍ ثم قال: ”أنا لم أقل هذا“.

جلست معه طوال فترة الصّباح نتحدث عن أمور عشوائية، بصراحة كنت أريد أن أطمئن أنه بخير بعد الضّرب الذي تلقّاه مني، وكنت أشعر بالذّنب الشديد من جهة أخرى، وفجأة ودون سابق إنذار سمعت صوتًا نسائيًا هادئًا ومبحوحًا يقول: ”ها أنت مجددًا تدمر الأشياء الجميلة التي تملكها“. فزّيت من مكاني وقمت أبحث عن الصّوت وأخذت أنادي بجنون: ”خيال! هل هذه أنت؟“.



الإدراك... هو أول الخطوات

الدكتور نزار: كيف تبدو "خيال"؟
خليفة: طويلة القامة، مبحوحة الصّوت، شعرها قصير
وملامحها حادة و... وقاسية جدًا.

الدكتور نزار: ماذا تعني لك القسوة؟
خليفة: الجلد... الجلد بالكلام المزعج.
الدكتور نزار: بماذا يشعرك هذا الكلام المزعج؟
خليفة: يشعرنى بطعنات ساخنة جدًا تخترق صدري
وتضرب قلبي، تؤلمني جدًا.

الدكتور نزار: أتذكر متى أول مرّة شعرت بتلك الطّعنات؟
خليفة: عندما قالت لي خيال أنني لا أستحقّ كلّ الذي
أملكه.

الدكتور نزار: ومتى أول مرة شعرت بأنك لا تستحق كل
الذي تملكه؟

خليفة: طوال حياتي تقريبًا كنت أشعر بذلك.
الدكتور نزار: عُد بذاكرتك إلى طفولتك، هل هناك
ذكرى معينة شعرت فيها أنك لا تستحق ما تملك؟



خليفة: أتذكر مواقف كثيرة.

الدكتور نزار: أهنأك ذكرى معينة أمتك أكثر من البقية؟

خليفة بنبرة تملؤها اليأس: عندما ... عندما كنت في التاسعة من عمري، كنت أعب مع أخوتي في حديقة منزلنا، وكان أبي عائدًا من العمل، وعندما دخل حديقة المنزل فتح ذراعيه مؤشراً لنا لنذهب ونحتضنه، جرينا جميعاً نحوه، ولكنه قام باحتضان حمّد وسُميَّة دوني، ثم أخرج من الكيس الذي بيده هدايا قد أحضرها، ولكنه أعطاهما ولم يعطني...

الدكتور نزار: ولماذا فعل ذلك؟

خليفة: كان يقول إنني لا أستحقّ.

الدكتور نزار: لماذا يظنّ ذلك؟

خليفة: لأن حمّد وسُميَّة كانا أفضل مني دراسياً، وكان لا يتلقّى شكاوى عنهما من المدرسة أو من أمي كما كان يتلقّى عني.

الدكتور نزار: وكيف يؤثر ذلك عليك؟

خليفة: يجعلني أشعر بأنني لا أستحق أي شيء جيد.

الدكتور نزار: لماذا؟

خليفة: لأنني أحيب ظنون الآخرين بي باستمرار تماماً كما كنت أفعل في طفولتي، وأدمر كل شيء أملكه، حتى



عملي في المقهى لقد دمرته بإدماني لتلك الأقراص،
وخيبتُ ظنَّ (بُو جاسِم) بي، حتى زوجتي دأنة منذ أن
تزوجتها وهي غير سعيدة ودائمًا ما تشكو وتتذمّر...

الدكتور نزار: أليس هذا ما تقوله لك خيال؟

خليفة: ولكن هي أكثر قسوة.

الدكتور نزار: لماذا تشعر بأنها أكثر قسوة؟ هي تقول

لك بالضبط ما تقوله لنفسك؟

خليفة: ولكنها تجعلني أفقد عقلي.

الدكتور نزار: ألم تقل لك خيال بأنها صوت عقلك؟

خليفة: صحيح قالت هذا.

الدكتور نزار: هل يراها أحد غيرك؟

خليفة: لا أبدًا، حتى عندما كانت تظهر لي في العامة

لم يراها أحد غيري.

الدكتور نزار: متى بدأت تظهر لك؟

خليفة: عندما لم أجد أقراص المنوم التي أدمنتها،

وبدأ يتملكني الأرق الشديد.

الدكتور نزار: ومتى بدأت معك اضطرابات النوم

والأرق؟

خليفة: عندما كان مقهائي في أنجح مراحلها وأكثرها

ازدهارًا.



الدكتور نزار: وما كان شعور والدك حينها؟
خليفة: كنت أشعر بأنه يكرهني، ولم يكن يعجبه
نجاحي في المقهى.

الدكتور نزار: وهل أعاد لك ذلك شعورك في طفولتك
بأنك لا تستحق شيئاً؟
خليفة: بصراحة... نعم!

الدكتور نزار: قلت لي بأن تلك هي الفترة التي بدأت
خيال بالظهور لك، ومن ثم ازداد ظهورها أكثر وأكثر؟
خليفة: صحيح... في البداية كانت تظهر لي وأنا
وحدني للحظات قليلة ومن ثم تختفي، ولكنها مع الوقت
أصبحت تظهر في كل الأوقات والأماكن بشكل جنوني.

الدكتور نزار: هل رأيتها بعد أن استيقظت من الغيبوبة؟
خليفة: لا لم أرها أبداً، وخاصة بعد أن تعالجت من
إدمان أقراص المنوم بعد نهوضي من الغيبوبة، حيث إن
نومي أصبح شبه طبيعي الآن وتعافيت من اضطرابات
النوم التي كنت أعاني منها سابقاً.

الدكتور نزار: ولماذا رأيتها اليوم خاصة؟
خليفة: أنا لم أرها لقد سمعت صوتها فقط... وكانت
تجلدني بكلامها القاسي.

الدكتور نزار: هل كنت تجلد ذاتك داخلياً عندما
سمعت صوتها؟



خَلِيفَةَ: نعم! لقد كنت ألوم نفسي على فعلي اليوم،
ولكن ما تفسيرك لذلك؟

الدكتور نزار: خيال هي فعلاً خيالك وهي فعلاً صوت
عقلك كما قالت لك.

خَلِيفَةَ: ماذا تعني؟... أرجوك اشرح لي أنا لا أفهم!
الدكتور نزار: إدمان أقراص المُنوم، واضطرابات النوم
وقلته قد تؤدي في بعض الحالات إلى هلوسات تُرى أو
تُسمع ولكنها غير حقيقية، وفي حالتك أنت... كنت تتوهم
تلك الفتاة التي تدعى "خيال" مثلما تقول، ومن حديثك
أستنتج؛ أنها كانت تقول أفكارك عن نفسك التي تتجاهلها
عادةً... ولكن بصوت عالٍ، لذلك كنت تشعر بالغضب
الشديد تجاهها.

خَلِيفَةَ: وما الحل؟

الدكتور نزار: سنقوم بجلسات علاجية لتشافي ذكريات
طفولتك التي كوَّنت لك هذه الصورة السلبية عن نفسك،
وسنتعامل مع صوت عقلك وحديثك الداخلي السلبي
هذا؛ لأنه المسبب الرئيسي لاضطرابات النوم التي أدت
إلى سلسلة المشاكل تلك.

خَلِيفَةَ: هل يمكن لحديثي الداخلي مع نفسي أن يكون
سبباً في كل ذلك؟



الدكتور نزار: طبعاً! تخيّل أن حديثك الداخلي السّلبى هذا هو ما تسمعه طوال الوقت حتى عند نومك.

خليفة: وما سبب حديثي الداخلي السّلبى؟ هل هو والدي؟

الدكتور نزار: حديثك الداخلي السّلبى هو نتيجة أفكارك ومعتقداتك السّلبية عن نفسك التي تكوّنت بسبب طفولتك وتجاربك في الحياة... ومع الوقت قد يصبح عادة، علاجه يبدأ أولاً بعلاج جذوره ومُسبباته، ثم بمراقبة الحديث الداخلي وممارسة الحديث الداخلي الإيجابي.

خليفة: حسناً... دعنا نكمل الجلسة في وقت لاحق، يجب أن أغادر الآن فزوجتي لا تكفّ عن الاتصال بي.

الدكتور نزار: حسناً، ولكنني أريدك أن تفكر بحديثنا اليوم... فالإدراك هو أول خطوات العلاج وأهمها.



بعد فترة... تلقّيت رسالة نصية من أختي سُميَّة وأنا في العمل تقول بها: "هل أستطيع رؤيتك اليوم في أي مكان خارج المنزل؟". كتبت لها: "حسنًا". ثم اتفقنا على مقهى لنتقي به بعد انتهاء كل منا من عمله...

وعند لقائنا، بدت سُميَّة شديدة القلق والارتباك، كانت تفرك يديها باستمرار، ورجلاها لم تتوقّف عن الاهتزاز... وضعت يدي على يديها لأطمئنها...

خليفة: أنت لم تطلبي رؤيتي خارج المنزل إلا لأمرٍ جدّي، أخبريني...

سُميَّة وهي تتلعثم: بصراحة... أحتاج إلى المساعدة، وأنت الوحيد الذي أثق من أنه سيساعدني.

خليفة: بالطبع سأساعدك ولكن بماذا؟

سُميَّة: أنت تعلم كم أنّ والدينا متشدّدان ولا يقبلان أن تكون لدينا قراراتنا الخاصة، بالذات فيما يخصّ الزّواج...

خليفة: أهنأك من ترغيبين بالزّواج منه؟

سُميَّة بحياء: الحقيقة... نعم، هو رجل محترم وشهم جدًّا، وأنت تعرفه جيّدًا وتثق به...



خَلِيفَة: إِذَا مَا الْمَشْكَلة؟

سُمِّيَة: الْمَشْكَلة أَنه من جنسية أخرى، وَأنت تعرف مدى عنصرية والدينا خاصة بما يتعلق بالنسب، هما رفضا دأنة وهي فقط من قبيلة أخرى، فكيف لو كان من جنسية أخرى؟ أرجوك يا خَلِيفَة ساعدني فأنت الوحيد الذي سيفهمني...

خَلِيفَة: سأساعدك بالطبع، ولكن قبل ذلك يجب أن أعرف من هو وأجلس وأتحدث معه وأتأكد بنفسني لو كان رجلاً جيداً ومناسباً لك، فأنت أختي الوحيدة ولن أعطيك لأي رجل قبل أن أضمن من أنك ستكونين بخير معه.

سُمِّيَة: هناك أمر آخر...

خَلِيفَة: ما هو؟

ثم أعطتني سُمِّيَة هاتفها وأشارت على خلفية الهاتف التي كانت تحمل صورتها مع طالبها المفضل في المدرسة.

خَلِيفَة: عذراً لم أفهم...؟



في سنة 2020...

حين بدأت جائحة كورونا وأغلقت المدارس، وأصبح كل شيء يحدث "عبر الإنترنت"...

كانت سُميَّة تشرح الدُّروس لطلابها باستخدام أحد تطبيقات مكالمات الفيديو كجميع المعلمات في ذلك الوقت، وكان الوضع طبيعيًا في البداية، ثم بدأت تلاحظ كثرة غياب أحد طلابها الذي كان يُدعى "علي"، والذي كان طالبًا مميزًا جدًا؛ حيث كان حركياً ذا صوت عالٍ... لكن رغم حركته الكثيرة وشغفه في الصَّف إلا أنه كان أحد أحبِّ الطلاب على قلب سُميَّة.

قررت سُميَّة محاولة التواصل مع أهل علي؛ لتسأل عن سبب كثرة غيابه وعدم حضوره للحصص الافتراضية، تواصل معها والد علي وأخبرها بأن والدته علي قد أصيبت بمضاعفات شديدة بعد إصابتها بفيروس كورونا مما أدى إلى وفاتها، وأكمل قائلاً: "اعذرونا على التقصير، فنحن الآن نمرُّ بظرف صعب، سنحتاج إلى بعض الوقت كي نستعيد أنا وابني قوتنا ونعود إلى الحياة الطبيعيَّة". هذا الأمر جعل سُميَّة أكثر عطفًا تجاه علي مما جعلها تكرر التواصل مع



والده كي تطمئن عليه بين فترة وأخرى، ولكن بعد عدة أسابيع... سحب والد علي أوراق ابنه من المدرسة مما أثار قلق سُميَّة على حالة الطَّالِب، ثم حاولت التواصل مع والد علي مجدداً لتسأل عن السَّبب... لكن هذه المرة لم تحصل على أي تجاوب على اتصالاتها ورسائلها...

كانت سُميَّة تدعي لهذا الطَّفل كلما سجدت في صلاتها؛ حيث إنها تحب طلابها كثيراً وتهتم بهم تمامًا كما لو كانوا أبناءها... والسبب ما لم يغيب هذا الطَّفل عن بالها أبداً حتى بعد مرور عدة أشهر؛ حيث كان علي يزورها في المنام باستمرار ويعانقها دائماً مما جعل سُميَّة تحاول الوصول إلى هذا الطَّفل والبحث عنه.

بحثت سُميَّة عن أهل هذا الطَّفل بما أن والده لم يكن يجيب على اتصالاتها... وبعدما سألت عنه علمت بأن والد علي يعمل كأخصائي نفسي، وأن لديه عيادة خاصة به... ذهبت إلى عنوان عيادته بعد زوال الحجر الصَّحي مباشرة، لكن موظفة الاستقبال لم تسمح لها بالدخول إلى مكتبه بدون موعد؛ لذلك اضطرت سُميَّة أن تقوم بحجز جلسة مدفوعة عنده.

وعند قدوم موعد الجلسة وفي عيادة الأخصائي النَّفسي... طرقت سُميَّة باب مكتب الأخصائي الذي كانت معلقة عليه لوحة ذهبية اللُّون تحمل اسم "الدكتور نزار"... دخلت المكتب بهدوء، وعند دخولها رأت رجلاً



يبدو شابًا في الثلاثينيات من عمره طويل القامة ورشيقَ
البدن، كان يقف عند الشباك وهو ينظر إليه واضعًا يديه
في جيوب بنطاله، كان يبدو أنيقًا ومهذبًا... التفت إلى
سُميَّة عند دخولها وابتسم ثم دعاها للجلوس على الأريكة،
وأخذ يسألها بعض الأسئلة التعريفية قبل البدء بالجلسة...



أَبْعَادُ الْقَرَارِ

الدُّكتور نِزار: حَسَنًا أَخْبِرْنِي يَا سُمَيَّةَ، مَا الَّذِي جَعَلَكَ
تَحْجِزِينَ هَذِهِ الْجُلُوسَةَ الْيَوْمَ؟

سُمَيَّةَ: بِصِرَاحَةٍ... كُنْتُ أَحَاوِلُ الْإِتِّصَالَ بِكَ كَثِيرًا،
وَلَكِنِّكَ لَمْ تَكُنْ تُجِيبُ.

الدُّكتور نِزار: أَنَا فِعْلًا قَمْتُ بِتَغْيِيرِ رَقْمِي مِنْذُ فَتْرَةٍ...
وَلَكِنِّ عَجِيبٌ! هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ أَرَاكَ بِهَا، أَنْتَ لَمْ تَأْخُذِي
عِنْدِي أَيَّ جُلُوسَاتٍ سَابِقًا... إِذَا لِمَاذَا كُنْتُ تَحَاوِلِينَ
الْإِتِّصَالَ بِي؟

سُمَيَّةَ: لِأَنَّي كُنْتُ أُرِيدُ الْإِطْمِئْنَانَ عَلَى عَلِيِّ ابْنِكَ.
تَغْيِيرَتْ وَضْعِيَةَ جُلُوسِ الدُّكتور نِزار، وَأَصْبَحْتُ كَمَا لَوْ
أَنَّهُ اسْتَغْرَبَ مَا سَمِعَ...

الدُّكتور نِزار: مَا عِلَاقَتُكَ بِعَلِيِّ؟ هَلْ أَنْتَ إِحْدَى
صَدِيقَاتِ وَالِدَتِهِ؟

سُمَيَّةَ: لَا أَنَا مَعْلَمَتُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ.
الدُّكتور نِزار: هَلْ كُنْتُ مَعْلَمَةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَدْرَسَتِهِ
السَّابِقَةِ؟



سُميَّة: نعم كيف عرفت ذلك؟

الدكتور نزار: لأنه يطلب التواصل معك دائماً.

سُميَّة بحماس وعينين لامعتين: أحقاً؟!

الدكتور نزار: نعم ولكني لم أكرث للأمر، بصراحة ظننت أنه فقط يريد العودة إلى مدرسته السابقة من أجل أصدقائه.

سُميَّة: لماذا نقلته إلى مدرسة جديدة؟ هل هناك مشكلة ما واجهتك في المدرسة السابقة؟

الدكتور نزار: لا أبداً، ولكن بعد وفاة والدته -رحمها الله- لم أقدر على العناية به وحدي حيث إنني أنتهي من عملي وأعود إلى المنزل في وقت متأخر، لذا انتقل ابني إلى العيش في دبي في بيت جدته وبالطبع انتقل إلى مدرسة أخرى هناك.

سُميَّة: هل يمكنني رؤيته؟

الدكتور نزار: بالتأكيد يمكنك، أخبريني بالوقت الذي يناسبك وسأتي به إليك لتربيته وتطمئنين عليه بنفسك.

سُميَّة بحماس: نعم أرجوك فقد اشتقت إليه كثيراً!

الدكتور نزار: ما سرّ حبك هذا لطفلي علي؟ أعلم بأن المعلم يبني علاقة مميزة مع طلابه ولكن لم أتوقع في يوم بأن أرى معلمة تحجز جلسة عند أخصائي نفسي كي تسأل عن أحد طلابها!



سُميَّة: بصراحة... لم أتوقف عن التفكير به منذ أن علمت بوفاة والدته؛ خاصة أنه بقي يظهر لي في المنام مما أثار قلقي عليه.

الدكتور نزار: سبحان الله! هو بالفعل كان يطلب مني رؤيتك دائماً، وكأنه كان يناديك وقد وصل نداءه بطريقة ما. سُميَّة: نداؤه قد وصل بالفعل وجرني إليك اليوم.

الدكتور نزار: سأتي به في عطلة نهاية الأسبوع إلى "حديقة أم الإمارات" في أبوظبي وتعالى هناك لرؤيته، ما رأيك؟

وبعد مدة... أصبحت هذه عادة بالنسبة لسُميَّة؛ حيث كانت تطلب رؤية علي من والده بين فترة وأخرى، غير أنها تبادلت الأرقام مع الدكتور نزار لتطمئن على علي دائماً، وتتحدث معه وتساعد في واجباته كلما احتاج إلى ذلك... ولسبب ما كانت سُميَّة تشعر بارتباط عاطفي مميز مع هذا الطفل، وكأنه طفلها وليس مجرد أحد الطلاب لديها.

لاحظ الدكتور نزار تغيير ابنه علي الملحوظ من الناحية النفسية والسلوكية في المنزل... فقد أصبح أكثر هدوءاً واتزاناً؛ بالإضافة إلى درجاته وأدائه الدراسي الذي تحسّن بشكل فارق.

وفي أحد الأيام، تحدث الدكتور نزار مع سُميَّة عبر



الرّسائل النّصيّة وطلب منها أن تأتي إلى عيادته؛ لأنّه يريد أن يحدثها في أمر ما، ذهبت سُميّة مسرعة حيث قلقت على علي، وظننت أن مكروهاً ما قد أصابه.

عندما وصلت إلى عيادته ودخلت إلى مكتبه وجدت الدّكتور نزار يجلس وحده على مكتبه، سألته باستتكار: "أين علي؟، هل هو بخير؟". أجابها بكل هدوء: "نعم عليّ بخير وكل شيء على ما يرام".

نظرت إليه سُميّة باستغراب شديد...

الدّكتور نزار: تفضّلي اجلسي.

جلست سُميّة وتعايير الاستغراب ما زالت على وجهها...

الدّكتور نزار: أعلم أنك كنت تظنين بأن طلبتي لك اليوم يتعلق بعلي ابني، ولكنني أريد أن أحدثك عن أمر مختلف.

سُميّة: بالفعل أنا ظننت ذلك، وأتيت مسرعة؛ لأنني خفت من أن خطباً ما قد أصاب علي لا سمح الله.

الدّكتور نزار: لا ليس كذلك...

سُميّة: حسناً... تفضّل أخبرني.

الدّكتور نزار: أنت تعلمين يا سُميّة كم أن وفاة شريك الحياة ليس بالأمر السّهل أبداً... بعد وفاة زوجتي -رحمها الله- حزنت كثيراً وظننت للحظة بأن حياتي قد انتهت رغم أنني أخصائي نفسي وأعالج الآخرين من هذه



المشاعر والأفكار، لكن حتما وقعها علي لم يكن هيئاً... ظننت بأنه لا يمكن لمشاعري أن تتحرك مجدداً تجاه أي امرأة أخرى وأنه من المستحيل لي أن أفكر في الزّواج مرة أخرى، حتى علي ابني... ظننت أنه لن يقدر علي التعلق بأي مخلوق آخر كتعلّقه بأمه، ولكن بعد حجزك للجلسة ذلك اليوم وإصرارك علي التواصل معي كي تعرفني أخبار ابني واهتمامك الشديد به؛ وخاصة عندما رأيت التغير في ابني علي والتحسّن الملحوظ اللّذي طرأ عليه، شعرت بأنك ستكونين الشريكة المثالية لي خاصة في الظروف اللّتي أخوضها حالياً، ولن أجد امرأة أحسن منك علي ابني...

ظلت سُميَّة صامتة تنظر إليه بوجه جامد...

الدّكتور نزار بارتباك: هل تقبلين الزّواج بي يا سُميَّة؟

سُميَّة بهدوء شديد: لا...

الدّكتور نزار: هل يمكنني أن أعرف السّبب؟

سُميَّة: السّبب أنني أظن أنك تريد الزّواج مني كي أهتم بابنك وأعوّضه عن غياب أمه فقط، ولا تريد الزّواج مني من أجلي أنا.

الدّكتور نزار: ولكن هذا غير صحيح، فأنا معجب بك وبشخصيتك النّاضجة.

سُميَّة: هل انتهيت مما كنت تريد قوله؟



الدكتور نزار: لم أتوقع أن تكون هذه ردة فعلك... توقعت أنك تُحِبُّين ابني جدًّا، وستوافقين على الفور كي تكوني معه.

سُمِّيَّة: أعتذر منك ولكني لا أسمح لك أن تستخدم علاقتي بعلي كي تضغط علي.

غادرت سُمِّيَّة مكتبه وهي منزعجة، وعند خروجها من عيادته صادفت خَلِيفَةَ عند باب العيادة وارتبكت جدًّا؛ لأنها لم تعلم ما الذي ستقوله إذا سألتها عن سبب تواجدها هنا، فقررت الكذب بأي كذبة بيضاء تخطر على بالها وترحل بسرعة... وظنت أن الأمر قد انتهى، لكن وجود خَلِيفَةَ في العيادة ذلك اليوم أثار قلقها جدًّا وبقيت تُصارع الوسواس طوال الليل بأفكار مثل: "ماذا لو أن نزار وخَلِيفَةَ صديقان وعلاقتهما قوية؟ ماذا لو نزار قد أخبر خَلِيفَةَ وطلب منه ידי بشكل رسمي؟ ماذا لو ظن خَلِيفَةَ بأن علاقتي مع نزار أكبر من مجرد معلمة تسأل عن طالب؟ ماذا وماذا وماذا...".

وفي صباح اليوم التالي... عرضت سُمِّيَّة على خَلِيفَةَ أن تقوم بإيصاله إلى مركبته؛ حيث إنه نسيها في عيادة الدكتور نزار الليلة السَّابِقة، وكانت فرصة لها بأن تجسَّس النَّبْض وتتعرفَّ على طبيعة علاقة خَلِيفَةَ بالدكتور نزار، وكانت خطوة جيدة بالنسبة لها؛ حيث علمت أن خَلِيفَةَ يتعالج عند الدكتور نزار والأمر لا يتعدى ذلك وأنه لا يعرف عن شيء،



ولكن عندما أوصلته عند العيادة رأت الدكتور نزار يقف عند باب العيادة بالصدفة، وما إن رآها حتى أتى مسرعاً ليتحدث معها وأخذ يعتذر منها ظناً منه بأنها انزعجت من طلبه الزّواج منها... لكنه لم يلحق أن يكمل كلامه حيث تلقى لكلمات هجومية من خليفّة وهربت سُميّة من الموقف لارتباكها الشديد وعدم قدرتها على مواجهة الأمر، ومن ثم أرسل لها الدكتور نزار رسالة نصية يقول بها: "لقد قمت بإخبار خليفّة بأنك مُراجعة عندي وأنت تُعانين من ظروف نفسية، وهو الآن آتٍ إليك ليطمئنّ على حالتك... الكذب ليس عادتي ولكنني خفت من أن يلحق بك ويضربك أو يؤذيك، وأعتذر أنني تعديت حدودي وجلست بجانبك في المركبة كنت فقط أريد الاعتذار منك لا أكثر... وأعتذر منك أيضاً على مُضايقتك بطلبي يدك للزواج، وشكراً على كل شيء فعلتيه من أجل ابني علي... دمت بخير". قررت سُميّة أن تكمل كذبة الدكتور نزار بعد قراءتها لتلك الرّسالة؛ لأنها خافت من ردة فعل خليفّة الهجومية وأحبت أن تنتظره حتى يهدأ لتخبره بالحقيقة...



خليفة: الدكتور نزار! لهذا كان يتحدث معك ذلك اليوم عند عيادته؟ إذا أنت لست مجرد مراجعة عنده؟!

سُميَّة: اهدأ يا خليفة، أنا كنت معلمة ابنه فقط لا أكثر، ومن ثم قام بطلب الزَّواج مني لاحقًا، وأعلم ما الذي تفكر به... من المستحيل أن يوافق أبي خاصة وأنه أرمل ولديه طفل أيضًا.

خليفة: هل حقًا تظنَّين أن الدكتور نزار مناسبٌ لك؟
سُميَّة: ولم لا؟ فهو رجل ناضج وملتقف وحنون جدًّا مع ابنه...

خليفة: إذا لماذا أغلقت الباب في وجهه إذا كنت تظنَّين ذلك؟

سُميَّة: الحقيقة... صحيح أنني رفضت عرضه أول مرة لأكثر من سبب، أولاً لأنني خجلت وارتبكت جدًّا عندما عرض علي الزَّواج بشكل مباشر، وثانيًا أنني بالفعل ظننت في البداية أنه يريد الزَّواج مني كي أُربِّي له طفله فقط، وثالثًا لأنني كنت متأكدة من أنه لا يملك معايير الزَّوج المناسب لي في نظر عائلتنا.



خليفة: إذا ما الذي يجعلك تظنين أنه مناسب الآن؟

سُميَّة: في البداية وقبل عرضه للزواج مني كان تواصلنا قليلاً جداً ومقتصرًا للحديث عن علي، لذلك لم أكن مهتمة به أبدًا، ولكن بعد حادثة اللكمات التي تعرض لها منك خارج عيادته، اتّصلت به يومها كثيرًا كي أعتذر منه ولكنه لم يُجب مما أثار قلقي، ظننت أنه لا يريد التحدث معي وبهذه الطريقة لن أتمكن من رؤية علي مجددًا... لذلك ذهبت إليه في اليوم التالي وحملت معي باقة ورد بسيطة واعتذرت منه وجهاً لوجه، وبصراحة كان أكثر ترحيباً بي مما توقعت، ولشعوري بالحرَج منه جلست وحاولت التحدث معه قليلاً؛ كي أكسر الجمود وتعود الأمور إلى مجاريها، وكان نزار أذكى مما ظننت حيث استغل ذلك الحديث في أن يسألني أسئلة تجعلني أتحدث عن نفسي بشكل أعمق، وذلك طبعًا حسب خبرته في المجال التي تجعله خبيرًا في أن يجعل الآخرين يشعرون بالارتياح في الحديث معه... أخذ حديثنا وقتًا أطول بكثير مما خططت له... شعرت يومها أنني لا أريد لحديثنا أن ينتهي؛ حيث إنني تحدثت عن أمور لأول مرة أتجرأ وأشاركها مع إنسان مثل: مخاوفي السرية في ألا أجد زوجًا مناسبًا لي أبدًا أو ألا أتزوج أصلاً، وكان نزار يسمع بهدوء دون أن يلقي التّصائح المزعجة، ودون أن يشعرني بأن مخاوفي سخيصة أو غيرها من الأحكام التي



يطلقها الآخرون علينا في العادة. خرجت من مكتبه ذلك اليوم، وأنا أشعر بخفّة لأول مرة أشعر بها في حياتي، ثم أرسلت له رسالة نصية أعبّر بها عن شعوري، وكان رده هو ما جعل قلبي يميل إليه؛ حيث كانت رسالته تقول: "هكذا تستحقين الشعور دائماً، فمن غير العدل أن تكون فتاة تحمل قلباً كبيراً كقلبك الذي يسع كل الأطفال الذين ترينهم يومياً، أن يحمل أي ثقل ولو كان بسيطاً". ابتسمت خجلاً ومن هنا بدأت علاقتنا بالتطور، هو رجل محترم ولا يريد شيئاً إلا الحلال، لهذا أعاد طلب الزّواج مجدداً، وأنا حقاً لا أعلم كيف أتصرف غير أنني أكون واضحة معه عن عادات أهلي وطريقة تفكيرهم الرجعية، كي يكون مستعداً للفراق -إن حدث-.

صمت قليلاً بعد الكم الهائل من المعلومات الذي تلقيته من سُميَّة للتو، فهي تريد مساعدتي وهذه مسؤولية كبيرة خاصّة وأنّي أعلم حجم ثقتها بي، وأيضاً جعلتني أتعرف على زاوية مختلفة تماماً من الدكتور نزار الذي اعتدت أن يكون الأخصائي النفسي الذي أذهب إليه لألقي همي وثقلي، وأخرج من عنده مرتاحاً وخفيفاً، والآن هذا الأخصائي يطلب نسبي...

سُميَّة: لماذا أنت ساكت؟ أرجوك قل شيئاً لا تُقلقني أكثر...



خليفة: فكري جيداً يا سُميَّة، رغم أنني أثق بالدكتور
نزار جداً وأتفق مع رأيك عنه، ولكنه من خلفية مختلفة
تماماً عنا وعن عائلتنا.

سُميَّة: ها هي دانةٌ مختلفة جداً أيضاً، ولكنكم تعيشون
حياة جميلة مع بعضكم البعض.

خليفة: هل ستكونين قادرة على تحمل أبعاد قرارك
هذا؟

سُميَّة: ماذا تعني؟

خليفة: صحيح أن علاقتي بدانة جميلة، ولكنك تعلمين
بالتحديات التي واجهتها كي أكون معها، هل أنت مستعدة
لهذا؟

سُميَّة: لماذا تصعب الأمر أكثر عليّ يا خليفة؟ أنا
أردتك أن تُساعدني.

خليفة: وأنا سأساعدك وسأقف معك، ولكني أريدك
أن تكوني مدركة للذي ستواجهينه إذا اتخذت هذا القرار؛
بالإضافة إلى أنك ستتحملين أيضاً مسؤولية طفل ليس
ابنك، وستكون توقعات هذا الطفل تجاهك كبيرة خاصة
وأنه قد فقد أمه، فكري جيداً يا سُميَّة...



ريستريتو

هناك شارعٌ كنت أتجنّب الذهاب إليه أو المرور بجانبه منذ أن استيقظت من الغيبوبة، لدرجة أنني كنت أضطرّ لسلوك طريق أطول أحياناً فقط كي لا أعبر من هذا الشارع، وهو الشارع الذي كان يتواجد به مقهى، كنت أهرب من ذلك الشارع خوفاً من أن أرى مكان المقهى دون وجود المقهى...

وهذه المرة... طلب مني الدكتور نزار أن أذهب إلى ذلك الشارع بالذات، وأقف أمام مكان المقهى، وأنظر إليه، هو يعتقد بأن هذه الطريقة ستجعلني أواجه الصدمة وأتقبل الواقع الجديد، لم أكن مُقتنعاً جداً بفكرته ولكني وعدتُه بأن أنفذ جميع ما يطلبه مني خاصة بعدما قال لي إنه سيسامحني على ضربي له إن تعاونت معه في علاجي...

كنت أشعر بثقل عجالات مركبتي لأول مرة، وكأن مركبتي لا تستطيع حملي؛ وكأنها لا تريد العبور من هذا الشارع، ورغم أن الطريق كان قصيراً ولا يستغرق أكثر من ربع



ساعة، إلا أنني حرفياً شعرت أنها ثلاث ساعات أو أكثر، لم يكن الأمر سهلاً أبداً... لذا قمت بفتح موسيقى صاحبة جدًا في الراديو لأحاول تشتيت عقلي الذي بدأ يحثني على التراجع... وما إن وصلت حتى وجدت أن مكان المقهى قد تحول إلى مطعم آخر، و"مقهى اللأ نهاية" لم يعد موجوداً، تعصر قلبي جداً، كان الأمر مؤلماً حتى مع علمي سابقاً بأن مقهى قد أغلق منذ ثلاث سنوات، لكن مع ذلك رؤية مطعم آخر في مكانه لم يكن سهلاً أبداً، شعرت وكأنني تعرّضت للخيانة من شخص عزيز... ومع ذلك قررت المواجهة وعدم الهروب مثل كل مرة، أوقفت مركبتي أمام باب المطعم الجديد الذي كان يبدو أنه مطعم للأكل الآسيوي، ظلت واقفاً أمام باب المطعم لبضع دقائق أحاول تقبل مشاعري... أحاول قبول أنني مصدوم وحزين ومحبط منذ ثلاث سنوات، والسّماح لنفسي بشعور تلك المشاعر دون مقاومة أو رفض لها... كما قال لي الدكتور نزار: "تقبل مشاعرك السلبية، وأشعر بها مثلما هي، لا تقاومها ولا ترفضها ولا تكبّتها... ثم دعها تعبر وترحل بسلام بعد انتهائك منها"...

نزلت من المركبة لألتقط أنفاسي... وفجأة سمعتُ صوتاً أعرفه جيداً يقول: "سيد خليفة! أهذا أنت؟". نظرت إلى مصدر الصوت ورأيت "سيد" الموظف الذي كان يعمل لديّ في المقهى، جرى إليّ وعانقني بقوة



وبادلتها العناق، ثم دعاني لأتناول معه القهوة ولكنني قلت له: "أنا توقفت عن تناول القهوة يا سيد". سكت مستغرباً ثم قال: "وماذا عن شاي الكرك؟". ضحكت وقدّرت احترامه لرغبتني وعدم إلقاءه الأسئلة الفضولية كباقي النَّاس عندما يعلمون بأني لم أعد أتناول القهوة...

خليفة: أنت تعمل في هذا المطعم الآن يا سيد؟

سيد: أي مطعم، تعني المطعم الذي يوجد في مكان ال.. خليفة مقاطعاً له: نعم.

سيد: لا، أنا أعمل في أحد المقاهي في الشارع المقابل، ولكنني مررت من هنا اليوم بالصدفة، وكما يُقال "رب صدفة خير من ألف ميعاد".

خليفة: صدقت، أنا جئت اليوم لأول مرة بعد الذي حدث، فقد طلب مني ذلك الأخصائي النفسي الذي أتعالج عنده... لا أعلم لماذا أقوم بمشاركتك لهذا، ولكنني اشتقت إليك كثيراً يا سيد.

سيد: أنا سعيد من أجلك يا سيد خليفة.

خليفة: سعيد لماذا، إنني لا أملك مقهى الآن؟

سيد: سعيد أنك بخير، وأنت بصحة جيدة الآن، وأرى دبلّة في يدك... مبارك.

خليفة: أنت جميل يا سيد، جميل فعلاً.

سيد: لكن... لماذا أراك حزيباً؟



خليفة: بصراحة لا أعلم، رغم أنني أملك كل شيء...
صحة وأهل وزوجة ووظيفة براتب جيد، لكنني أشعر
بالفراغ... وكأنني أعيش حياة ليست لي.

سيد: وهل والدك راضٍ عنك الآن؟

خليفة بضحكة يائسة: والدي راضٍ طالما أنني تركتُ
وظيفة الباريسيتا التي كانت تُشعره بالعار.

سيد: أتذكر يا سيد خليفة... عندما كنت تصنع
مشروب "البيكولو" (مشروب مشابه لمشروب "اللاتيه"
ولكن مصغر)، ثم تقوم باستخدام "الريستريتو" وهي
نصف كمية "الإسبريسو"، لتقوم بموازنة مذاق القهوة في
المشروب الصغير؟

خليفة: ماذا تحاول القول يا فيلسوف؟

سيد: أحياناً يجب أن تمسك الأمور من نصفها لتجدَ
حلاً متوازناً يناسب الطرفين... تمامًا كما تفعل مع
مشروب البيكولو.

لم أفهم ما كان يقصده سيد بكلامه، ولكن جملته
بقيت عالقة في ذهني طوال اليوم، لا أعلم إن كنت فعلاً
أحتاجها أو لأنه استخدم مثلاً يخص القهوة التي أعترف
أنني اشتقت إليها كثيراً، ولكنني خائف منها في الوقت
ذاته...



عدت إلى المنزل مُتعبًا أبحث عن حمام دافئ وسرير أستلقي عليه، دخلت غرفتي وإذا بي أجد دانة جالسة على طرف السرير وتبدو على وجهها ملامح الغضب، قالت لي دون أن تنظر إلى وجهي: "أريد الانفصال يا خليفة". لم أستوعب الذي قالته، سحبت كرسي التسريحة ووضعتة أمام حافة السرير أينما تجلس، جلست مقابلها وقلت لها: "ماذا؟" ...

دانة: الذي سمعته، أنا لا أقدر على الاستمرار.

خليفة: ولكن لماذا؟ ألا تتذكرين كيف حاربت من أجلك؟ أتتركيني بهذه البساطة يا دانة؟ أتخليين عنا هكذا؟

وضعت دانة يديها على وجهها محاولة تغطيته... كما تفعل دائمًا عندما تريد إخفاء دموعها...

خليفة: أخبريني، لماذا اتخذت هذا القرار؟

دانة وهي تبكي: كنت أظن أن بعد كل العناء الذي عانيته لأجل أن تتزوجني، أن حياتي معك ستكون شبيهة بالجنة.

خليفة: حسنًا... أنا أعلم أنني مقصر معك هذه الفترة، ولكن لدي ظروف أنا لم أتكلم عنها؛ لأنني لا أريد أن أشغل بالك.

دانة: ولكنك في السابق كنت تحكي لي كل شيء.



خليفة: معك حقك، حسناً سأحكي لك، في الفترة التي مضت أنا...

دانة مقاطعة له: ليس هذا فقط، أنا لا أستطيع تحمل معاملة أهلك لي أكثر من ذلك، أعلم أنهم لم يرغبوا بي كزوجة لك منذ البداية، ولكن إهاناتهم لي قد كثرت، وكلما أشكي لك لتجد حلاً للأمر تتجاهلني!

خليفة: صحيح لأنني أمر بظروف نفسية أصعب من التي تمرين بها أنت، لهذا ليس لدي الوقت...

دانة: وما ذنبي أنا لأتحمل كل هذا!

خليفة: هذا صحيح أنت ليس لك أي ذنب، ولكن الانفصال ليس حلاً، أخبريني ما الذي يحدث بينك وبين أهلي، سأحاول حل الموضوع بطريقتي.

دانة: في البداية كان والداك لا يُعيروني أي اهتمام، ولا حتى يردّوا السلام عندما أُلقيه عليهم، ويخرجون من المجلس عندما أدخل إليه بدونك، ومع الوقت تطور الأمر، أصبحت والدتك تلقي عليّ الكلام الجارح كلما رأته، فلقد ارتديت الحجاب لأجل أن أرضيها هي فقط بعدما كانت ترمي الكثير من التلميحات الجارحة عن موضوع الحجاب، والآن تتحدّث عن تأخر حملي، هي لا تعلم أن تأجيل الإنجاب هذا قرارك أنت، تقول إنني أحرمتك من الأطفال، وتقول إنني سحرتك لتتزوجني..



خَلِيفَة: أعتذر منك عما بدر تجاهك من أهلي وأعدك أن هذا لن يتكرر، اهدئي الآن من فضلك، وأريد أن أطلب منك أمرًا واحدًا فقط...

دانة: ماذا؟

خَلِيفَة: ألا تفكري بالانفصال مجددًا أبدًا، أنا حاربت كثيرًا لأجل أن نكون معًا، ومجرد تفكيرك بالانفصال يجرحني، أنت صديقتي وزوجتي وتوأم روحي كيف لي بأن أنفصل عنك؟

ابتسمت دانة وعانقتني بعد رؤيتها لردة فعلي الهادئة تلك، ولكنني شعرت بغضب شديد تجاه أهلي، كيف لهم أن يؤذوا زوجتي بهذا الشكل؟ هل سيستغلون انشغالي وغيابي مرة أخرى لأخسر زوجتي مثلما خسرت مَقْهَاي؟ أخذت حمامًا باردًا بدلًا من الدافئ كي تهدأ أعصابي ولا أفتعل ردة فعل أندم عليها لاحقًا، وأخذت أفكر بحلّ للموضوع، انتظرت دانة حتى تنام ثم خرجت من الغرفة، ووجدت أخي حمّد يشاهد التلفاز وحده في مجلس الطابق العلوي، ذهبت وجلست بجانبه...

حمد: أنت بخير يا خَلِيفَة؟ ليس من عادتك السهر؟

خَلِيفَة: بالي مشغول، تخيّل أن دانة قد طلبت مني الانفصال اليوم.

حمد: ماذا؟ لماذا؟!



خليفة: والداي لا يعاملونها بطريقة جيدة، وأنا أيضاً كنت منشغلاً عنها كثيراً مؤخراً ولم أكن أقضي وقتاً كافياً معها ولا أسمعها.

حمد: نعم قد لاحظت ذلك، والحقيقة... لم أتوقع في يوم أن أرى أُمي تعامل أحداً بتلك الحدة.

خليفة: هل هي فعلاً تؤذيها إلى هذه الدرجة؟

حمد: كنت متوقفاً من دأنة أن تطلب منك الانتقال إلى منزل مستقل منذ بداية زواجكما، لا أعرف كيف صبرت كل هذا الوقت بصراحة، يبدو أنها تحبك حقاً.
خليفة: هذه فكرة جيدة.

حمد: أي فكرة؟

خليفة: لا عليك...

ذهبت مسرعاً إلى غرفة أُمي لأخبرها بقراري كي لا تصدم أو تنزعج مني، وأعلم أنه لن يكون سهلاً عليها ولكنني لست مستعداً للخوض في عراكات النساء أكثر ولا أريد خسارة دأنة، جلست بجانب أُمي بعد أن قبّلتها على رأسها وسألتها عن حالها...

خليفة: بصراحة يا أُمي أريد أن أحدثك عن أمرٍ مهمٍّ... أعلم أنك تتمنين أن تقومي بتربية أحفادك ورؤيتهم حولك في نفس المنزل، وكنت أتمنى تحقيق ذلك لك، ولكن خطّتي قد تغيرت الآن...



أُم حَمَد: ما الَّذي تحاول قوله يا حَلِيفَةَ؟
حَلِيفَةَ: أنا قررت أن آخذ زوجتي وننتقل إلى بيت
مستقل في القريب.

أُم حَمَد بانفعال: ماذا!! قد أثرت على عقلك هذه
اللَّيْمَةَ، كنت أعلم أنها ستغيرك على أهلك، قلت لك من
البداية ألا تتزوجها وتزوج ابنة الجيران الخلوقة، وها هي
الآن تفعل الَّذي كنت أخافه!

حَلِيفَةَ: هدئي من روعك يا الغالية واسمعي، هذا
القرار هو قراري أنا بالكامل... دَانَةَ اليوم طلبت مني
الانفصال، وأنا أحاول الحفاظ على بيتي.

أُم حَمَد: دعها تذهب... لم أنت متمسكٌ بها بهذا
الشكل؟ هي حتى لم تنجب لك أولاداً!

حَلِيفَةَ: موضوع تأجيل الإنجاب هذا طلبي أنا يا أمي،
ودَانَةَ فقط تطيع أوامري وليس لها ذنب.

أُم حَمَد: ولم تحرمني من أحفادي يا حَلِيفَةَ؟
حَلِيفَةَ: لأنني لستُ مستعداً لهذه المسؤولية الكبيرة
الآن، أحتاج أن أكون أكثر جاهزية.

أُم حَمَد: وماذا تفعل زوجتك؟ اجعلها تترك عملها
وتجلس في المنزل لتتهم بالأطفال.

حَلِيفَةَ: ولكن دوري كأب مهمٌ جداً.
أُم حَمَد: التربية مسؤولية الأم، كلنا فعلنا ذلك.



خليفة: الأطفال الذين ستُحبهم سيكونون أطفالنا نحن
الاثتان، لذا هم مسؤولية مشتركة بيننا، وأنا لا أريد ما
حدث معي أن يتكرر مع أبنائي.
أم حمّد: وما الذي حدث معك؟ لقد ربّيناك أحسن
تربية أنا وأبوك.

خليفة: بكل صراحة... هل ترين بأن علاقتي بأبي
علاقة جيدة؟ أبي كان غائبًا أغلب الأوقات في طفولتي،
وفي حضوره كان يُعاملني بقسوة دائمًا حتى بعدما
كبرت... لدرجة لم يترك للحب تجاهه مكانًا في قلبي،
هو حتى لم يسأل عن حالي منذ أن تزوجت، ويتجنّبني
كلما رأيته ولا أعلم لماذا، أنا خسرت حلم حياتي ومقهاي،
ما الذي يجب عليّ أن أخسره أكثر كي يرضى عني؟...
حقًا لا أفهم!

أم حمّد: هذا ليس موضوعنا، أنا ليس لي شأن في
علاقتك بوالدك.

خليفة: إنني أحاول أن أشرح لك أهمية دور الأب، لا
تقولي بأن الأطفال مسؤولية الأم وحدها لأنّ للأب تأثيرًا
كبيرًا أيضًا.

أم حمّد بكبرياء: حسنًا ماذا تريد الآن؟ ألا تريد الخروج
من المنزل؟ هيا حُذ زوجتك واخرج أنا لا يهمني.

خليفة: أريدك أن تتفهمي موقفي، دانة ليس لها ذنب



بأي شيء، أنا الذي اخترتها وألحيت عليك كي أتزوجها، وهي الآن زوجتي وكرامتها من كرامتي واحترامها من احترامي... ولا أقبل عليها بالأذية أبدًا، أريدك أن تُعاملها بإحسان يا أمي... من أجلي أرجوك.

أم حمّد: هي التي شكّت لك مني؟

خليفة: لا أبدًا... هي طلبت الانفصال بكل هدوء، ولكنني أحبها ولا أقدر على خسارتها، لم لا تفهميني يا أمي؟

أم حمّد باكية: أنا لا أفهمك يا خليفة؟

خليفة وهو يجلس تحت رجلي أمه: لماذا الدموع الآن يا أم حمّد الغالية؟ ألسنت فخورة بي لأنني أحاول الحفاظ على بيتي؟ أليس هذا ما علمتنا إياه طوال حياتك؟ ألم تفعلي المستحيل كي يرضى والدي عنك وتحمي بيتك؟ أنا الآن أحاول فعل الشيء ذاته، أرجوك سهّلي علي الأمر وتفهمي موقفني، وارضي عني فرضاك يهمني.

أم حمّد وهي تجهش بالبكاء: ولكنني أخاف بعدكم، أنتم أبنائي ملكي أنا، كيف لنساء أخريات أن يأخذنكم مني بهذه السهولة!

خليفة: لا يستطيع أحد في هذا العالم بأكمله أخذي منك، وأنا أعدك أنني سأسكن في منزل قريب من هنا وسأتي لزيارتك دائمًا، وسترين لاحقًا أيضًا بأن هذا أريح لنا ولك.



ضمّيت أُمي إلى صدري بقوة وقبلت رأسها، ولم أغانر
غرفتها حتى رأيت ابتسامتها، ورغم أنني كنت أشعر
بالعجب تجاهها لما فعلته بزواجتي، إلا أنني سرعان ما
تعاطفت معها جدًّا بعدما فهمت الطّريقة الّتي تفكر بها،
أمهات الجيل السّابق لم يكن لديهن حياة سوى أزواجهن
وأبنائهن، رَسَمَنَ مستقبلهن كاملاً بناءً على تعلقهن بفكرة
أن أبناءهن ملك لهن، وبأنهم مُجبِرون على تحقيق
أحلامهن لهن، ولكن هذه ليست الحقيقة مع الأسف،
يأتي كل ابن وهو يملك أحلامًا وطموحات خاصّة به، وقد
لا تتماشى مع الصّورة الّتي تخيلتها تلك الأم المسكينة،
مما سيجعلها تشعر بالعجز وتظن أن أولادها يعصونها
وأنها فشلت في تربيّتهم، لا أعلم كيف يمكنني مساعدة
أُمي لتقبل الأمر، ولكنني أيضًا لا أقدر على وضع عائلتي
الّتي هي مسؤوليتي في خطر أن تُهدم من أجل أحلامها
غير السويّة...

انتقلنا إلى شقّة جديدة بالفعل بعد مدّة قصيرة جدًّا...
كانت الشقّة صغيرة تسعنا نحن الاثنان وتقرب من بيت
أهلي كما أرادت أُمي... أخذنا نبدأ بتنظيف وترتيب
الشقّة معًا رغم عرض أُمي لنا بالاستعانة بعاملات منزل
أهلي، ولكنني قمت برفض عرضها، أردت أن نقوم بفعل
ذلك أنا ودائنة بأنفسنا بما أنه أول منزل لنا، وأردت أيضًا
قضاء بعض الوقت معها؛ لأنني ابتعدت عنها كثيرًا في



الفترة التي مضت خاصة عندما بدأت بعلاجي مع الدكتور نزار.

كنت أسترق النظرات إلى دانة وهي مُنغمسة في التنظيف وتقوم برفع خصلات شعرها من على وجهها بين كل حين، كنت أتأملها وأتأمل زواجنا الذي مضى عليه أكثر من سنة دون أن أشعر... متى أصبحت نصيبي وزوجتي بعد أن كان أمر زواجنا شبه مستحيل؟ كيف حاربت وبذلت كل ذلك المجهود من أجل أن أحصل على هذه الدانة؟ وكيف كانت سبباً بعد الله في تجاوزي للثقل الذي كنت أشعر به بعد خروجي من الغيبوبة... كنت أصدق بها وأنا أفكر بكل ذلك، ثم انتبهت لي وضحكت وهي تقول: "ما بك؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟ هل هذه أول مرة تراني بها؟". تجاهلت سؤالها مبتسماً وأكملت ما كنت أقوم بفعله...

وفي المساء... ذهبنا أنا وزوجتي لتناول العشاء في بيت أهلي تلبية لدعوة أمي، ولكن عند دخولنا تفاجأت برؤية شخص لم أره منذ فترة... كان يجلس معنا على مائدة الطعام...



بخير جدًا

تقدمت بخطوات قصيرة ثم قلت باستغراب يُخالطه الحماس: ”مُهْرَة!!“. التفتت مُهْرَة مبتسمة وهي تحمل ابن أخي الرضيع في أحضانها، ثم توجهت إلينا أنا ودانة... ناولتني طفلها وقالت بكل عفوية: ”أتمنى أن نرى طفلكما قريباً“...

تناولنا العشاء بشكل طبيعي مع أحاديث عشوائية وطبعاً مع إلقاء أبي لبعض التلميحات والتعليقات المزعجة بخصوص خروجي من المنزل، تجاهلت جميع تعليقاته ولم أجاوب معها كي لا أعكر الأجواء العائلية الجميلة، ولأنني أيضاً كنت مشغولاً بالتفكير بمُهْرَة وكيف عادت إلى المنزل فجأة؟ ما الذي حدث؟ هل أعادها حمَد على ذمته؟ ولكن كيف؟ ألم يقل إنه سيتركها ترى حياتها؟... ولم تنطفئ تساؤلاتي... لذلك أخذت حمَد بعدما انتهينا من تناول العشاء إلى حديقة المنزل وألقيت عليه جميع الأسئلة التي راودتني وكان آخر سؤال خاصة يملؤه العتب: ”لماذا لم تخبرني عن شيء؟“.



كان حَمَد صامِتًا يسمِعي بكل هدوء ثم قال: "لقد عادت مُهَرَّة زوجتي، أعدتها صباح اليوم، ضغط عليّ والدي كي أطلب رضاها وأعيدها... نعم ما زلت أفكر بالفتاة التي أحبها وما زلت عند موقفي... ونعم كررت نفس الخطأ مرة أخرى... ولم أخبرك لأنني أشعر بالخزي من نفسي ولم أكن أريدك أن ترى أخاك الأكبر وهو يكرر نفس الأخطاء الغبيّة دون أدنى جُرأة لتغيير شيء، هل هناك أي أسئلة أخرى؟".

قلت باستياء: "ولكن هذا لا يجوز! أنت لا تحب مُهَرَّة لماذا أعدتها؟ لتُعيد تعاملك البارد معها مجددًا!".

أخرج حَمَد سيجارة من جيبه رغم أنه ليس مُدخِّنًا وأخذ يقول وهو ينظر بعيدًا عني: "لم أستطع يا خَلِيفَة! أبي أقوى مني... لا أقدر على مواجهته، ضغط عليّ كثيرًا في الفترة التي مضت، اتَّهمني بتدمير علاقته بأخيه بسبب تطليقي لابنته، وأخرجني كثيرًا في الشركة أمام الموظفين بإهاناته وتقليله من احترامي أمامهم، وأصبح يُهمِّشني في كل شيء بعد أن كنت يده اليمنى... لم أقدر على تحمل هذا الوضع أكثر من ذلك، اضطررت لإعادة مُهَرَّة على ذمّتي كي أستعيد حياتي السَّابقة وأستعيد احترام أبي لي".

سكَّت بعض الوقت ثم قلت له: "لمّ لا تخرج من شركته وتفتح شركة خاصة بك، أنت تملك الكثير من الخبرة التي تُوهِّلك و...".



قال مُقاطِعًا لي: "أنا لست أنت يا خَلِيفَةَ! لا أقدر على فعل ذلك..". قالها ثم أخذ يبتعد عني ليدخل إلى المنزل وينهي هذا التّقاش، ولكني أمسكت بذراعه أحاول إكمال اقتراحاتي لمساعدته، نظر إلي بأعين تمتلئ باليأس وقال: "كفى يا خَلِيفَةَ! لا تُصعّب عليّ الأمر أكثر". وذهب إلى الدّاخل بسرعة، وبقيت أنا في حديقة المنزل حاملاً لهذا الهم، لا أعرف ما الذي يجري في بال حمد، ولكني أعرف أن ما يحدث يُعد خطأً كبيراً ضحيّته مُهرة وابنها، ولا أدري كيف سينتهي بهما المطاف، ولكني أتمنى حقاً أن يميل قلب حَمَدَ لُمُهرة ويعيش حياة سعيدة، وأن ينسى حَمَدَ عَشيقته تلك...

ذهبت بعدها إلى الدّاخل حيث كانت العائلة تتناول الشاي الأحمر والحللا... جلست لبعض الوقت ولكني سرعان ما لاحظت سرحان أختي سُميَّة المتكرر وشرودها في عالم آخر أثناء الجلسة، سألتها أكثر من مرة إن كانت بخير وكانت تهزّ رأسها بالإيجاب، ثم كتبت لها عبر الواتساب كي لا يسمع أحد من العائلة ما أريد قوله لها: "لا أريدك أن تظني بأنني نسيت موضوعك أو انشغلت عنك، ولكنني أردت إعطائك وقتاً كافياً للتفكير بأبعاد زواجك من الدّكتور نزار وإن كنت مُستعدة لها، هل ما زلتِ عند قرارك؟". أجابت: "لقد رفضت عرضه للزواج". كتبت لها: "دعينا نذهب إلى غرفتك". حيث شعرت أن



الموضوع يتطلب نقاشًا وجهًا لوجه...

وفي غرفة سُميَّة...

خليفة: ما الذي حدث؟

سُميَّة: فكّرت بكلامك عندما طلبت مني أن أفكر في

أبعاد قراري، وشعرت بأنني غير مستعدة...

خليفة: هذا فقط ما حدث؟

سُميَّة: نعم، وأشكرك على نصيحتك، أنا بالفعل لا

أقدر على تحمّل أبعاد هذا القرار وأظن أنني اندفعت

وقتها وسُجرت بكلامه والأحاديث الجميلة التي دارت

بيننا، ولكن عندما ابتعدت عن نِزار فترة، وفكرت بأمر

زواجنا جيدًا وبأنني سوف أكون أمًّا لعلي ابنه إن تزوجته،

استوعبتُ أنني بالفعل أحب ابنه علي ولكني لا أقدر على

تحمّل مسؤوليته بالكامل، فما زالت الحياة أمامي وما

زالت هناك أمور أريد تحقيقها قبل الأمومة، وأدركت أن

ارتباطي العاطفي بهذا الطّفل واهتمامي به في الفترة

التي مضت أمر إنساني لا أكثر، وبالرّغم من ذلك أنوي

الاستمرار في السّؤال عنه وتقديم المساعدة الدّراسية له

بنفس الطّريقة.

خليفة: ولكن ماذا عن الدّكتور نِزار بحد ذاته؟ هل

تجدين أنه غير مناسب لك؟

سُميَّة: أظن أنه غير مستعد للارتباط بعد...



خليفة: كيف؟ أقال لك ذلك بنفسه؟ إذا كان غير مُستعدّ
لماذا قام بطلب يدك؟

سُميَّة: هو لم يقل ذلك، أنا استتجتُ هذا من بعض
المواقف التي حصلت بيننا، هل تعلم أنه ما زال يضع
صورة زوجته -رحمها الله- خلفية لهاتفه، وما زال يضع
صورتها على مكتبه أيضًا...

خليفة: ألا تظنين بأن هذا أمر جيد، ويدل على وفائه
وإخلاصه؟

سُميَّة: أظنّه لم يتجاوز الأمر بعد، إنّ ثمانين بالمئة من
كلامه عندما كنا نتحدث كان عنها وعن زواجه منها
وقصة الحب التي كانت تجمعهما، وأنا بصراحة لا يمكنني
تحمل هذا الأمر، أعلم أنها كانت زوجته وأنها الآن
متوفية، ولكن هذا يجرح كبريائي كامرأة... أنا أريد أن
أكون مع رجلٍ مجنون بي أنا وليس بزوجه المُتوفاة.
قالتها سُميَّة وعيناها قد اغرورقتا بالدموع...

خليفة: أعلم أنه كان من الصّعب عليك اتخاذ هذا
القرار، ولكن أحييك على تفكيرك النَّاضج، فلو كانت
جميع الفتيات يفكرنَ مثلك لكانت الدّنيا بخير...

سُميَّة: أنا حقًا لا أفهم كيف له أن يكون أخصائيًا
نفسيًا يُعالج الآخرين وهو غير قادر على تجاوز...

خليفة مقاطعًا لها: فراق الأحبة من أصعب الأمور



التي يمكن أن يمرّ بها أي إنسان، خاصة وإن كانوا أحد أفراد عائلتنا، وأنا أعرف الدكتور نزار جيداً هو شخص شديد الإخلاص، ومن الصعب لشخصٍ مُخلصٍ أن يتجاوز زوجته المُتوقّاة بسرعة حتى ولو كان أخصائياً نفسياً، فهو في النهاية... إنسان.

سُميَّة: هو بالفعل شخص رائع ورغبت حقاً أن أكون معه... وهذا هو ما جرحني، ربما هو شخص مناسب لكن الوقت غير مناسب لِكليّنا، ربما يجمعنا الله في وقت أفضل...



بعد مرور مدّة على علاجي مع الدّكتور نزار... ذهبت إلى عيادته دون موعد في وقت متأخر من اللّيل، يشبه الوقت الّذي ذهبت فيه إليه أول مرة، كان يقوم بإغلاق مكتبه لانتهائه من عمله لكنني قاطعته قائلاً: "لا تغلق بابك انتظر". نظر إليّ باستغراب وقال: "ما الّذي أتى بك في هذا الوقت المتأخراً خليفّة؟ هل أنت بخير؟ هل سُميّة بخير؟". قلت له بحماس: "أنا بخير... بخير جداً". دخلنا إلى مكتبه وجلسنا...

خليفّة بحماس واندفاع: استطعت صنع القهوة يا دكتور لا أصدّق ذلك، صنعتها دون أن يخفق قلبي بسرعة، ولا ترتجف يداي، ودون أن أتعرق فلقاً...

الدّكتور نزار: أحقّاً؟! أنا سعيدٌ جداً من أجلك، وأشكرك على مُواظبتك للجلسات والتمارين الّتي أعطيتك إياها رغم صعوبتها أحياناً، أخبرني كيف حدث ذلك؟

خليفّة: فاجأتني زوجتي اليوم بماكينة القهوة القديمة الخاصة بي الّتي اشتريتها من إيطاليا في إحدى سفراتي العملية سابقاً، كانت الماكينة المفضلة لديّ حيث إنها حديثة التكنولوجيا وباهظة الثّمّن، وكان اسمي محفوراً



عليها، لكنني ظننت أنني خسرتها مع المقهى، لم أصدق عيني عندما رأيتها على طاولة المطبخ في البيت... فهي جلبت لي الكثير من ذكرياتي الجميلة، ثم طلبت مني دأنة أن أصنع لها القهوة باستخدام الماكينة تلك، ورغم شعوري من أن القهوة كانت سيئة المذاق إلا أن دأنة شربتها كاملة...

الدكتور نزار وهو يضحك: أنا فخور بك جدًّا يا خليفة! وزوجتك امرأة رائعة حيث إنها أكملت القهوة سيئة المذاق دعمًا لك... ولكن كيف وجدت الماكينة بعد كل تلك المدة؟

خليفة: قالت لي بأنها وجدت مخابئة في مخزن منزل أهلي، وهي تلمم أغراض الموجودة فيه عند انتقالنا إلى منزلنا الجديد.

الدكتور نزار: وكيف هي الحياة بمنزلكم الجديد؟ هل أنت مرتاح؟

خليفة: جدًّا! علاقتي بزوجتي أصبحت أكثر بهجة كما لو أننا ما زلنا في شهر العسل، حتى أمي أصبحت تعاملها أفضل من ذي قبل بعدما رأت مدى جدتي في الحفاظ على هذا الزواج، وأنا مستمر في محاولة إرضاء أمي والذهاب لزيارتها باستمرار؛ كي لا تشعر بأن خروجي من المنزل أبعثني عنها.



الدكتور نزار: أُحييك على معرفتك لوضع الحدود
الصّحية مع أهلِكَ وحماية زواجك، ليس كل رجل يستطيع
فعل ذلك... أنا فعلاً أُحييك يا خَلِيفَةَ أحسنت.

خَلِيفَةَ: هذا كله بفضل الله ثم بفضلك يا دكتور،
أشكركَ على جهدك وصبرك معي، وأدعوك لتناول القهوة
من يدي بأقرب وقت.

الدكتور نزار مماًزحاً: أنا موافق ولكن أرجوك اجعلها
طَيِّبَةَ المذاق.

مقهى اللانهاية

مفتوح

Coffee قهوة
Mocha Latte موكا لاتيه
Caramel Latte كراميل لاتيه
Americano أمريكيانو
Mocha موكا
Sweets حلويات
Traniso ترانيسو
Sweet infinity حلوى اللانهاية
spical cake كيك مميز



المقهى مفتوح

استيقظت من نومي سعيدًا ونشيطًا جدًا... نهضت من السرير سريعًا وتناولت وجبة الفطور مع زوجتي الجميلة ونحن نتحدث عن خططنا لهذا اليوم، ثم تركت قُبلة على جبينها وذهبت إلى عملي، كانت مركبتي خفيفة وسريعة جدًا كأنها لا تقدر على الصبر وتريد الوصول فورًا، أوقفت مركبتي في أحد المواقف، ثم نزلت منها ومشيت بخطوات سريعة جدًا إلى الباب وكأني أنا الآخر لا أملك المزيد من الصبر... رفعت رأسي لأرى اللوحة التي تستعرض شعار "مقهى اللانهاية"... مَقْهاي! فتحت الباب وألقيت التحية على سيد وبقية الموظفين، ثم ارتديت مَرِيْلَةَ الباريسْتَا الخاصة بي التي تحمل شعار المقهى في منتصفها واسمي على أعلى يمينها، أخذت لوحة "المقهى مفتوح" ووضعتها على باب المقهى لنستعدّ لليوم...

دقيقة...

هل هذا حلم؟



آخر مرة كنت بها في مَقْهاي لقد كان حلمًا وكنت في
غيبوبة...

هل ما زلتُ في غَيْبوبة؟

كيف أتأكد أنني مُستيقظ؟

أذكر أنني قرأت ذات مرة معلومة تقول: إني إذا كنت
أريد التحقق ممّا إذا كنت أرى حلمًا أو كنت مستيقظًا،
فيجب أن أقوم بالبحث عن مرآة والنظر إلى نفسي
والتأمل في تفاصيلي، فغالبًا تفاصيلي في الحلم ستكون
مشوشة ومختلفة عن الواقع، التفتُّ حولي أبحث عن
مرآة، قال لي سيد: ”هل تبحث عن المرآة مجددًا يا
سيد خليفة؟ ها هي بجانب الباب قد وضعتها لك للتأكد
من أنك مُستيقظ كما تفعل كل يوم“. ذهبت فورًا إلى
المرآة ونظرت إلى وجهي لأتأمل تفاصيله ثم قمت بعد
أصابع يدي للتأكد من أنّ عددها صحيح. وبعدها ناولني
سيد هاتفي النقال الذي كان على اتصال بدانة وقال:
”وها أنا قد اتّصلت بزوجتك كما تطلب مني كل يوم“.
أخذت الهاتف من يده وسمعت دانة وهي تقول...

دانة: أنت لا تحلم يا حبيبي، هذه حقيقة، لقد أعدت
مَقْهاك وأنت الآن باريستا مجددًا...

خليفةً بأنفاس متسارعة: ولكن كيف حدث ذلك؟

دانة: دخلت عليّ ذات يوم وقلت لي أنك استقلت من



وظيفتك، وأعدتّ مقهاك.

خليفة: وماذا عن والدي؟ هل هو راضٍ عني؟

دانة وهي تضحك: والدك أتى بنفسه ليُبارك الافتتاح
وقام بتهنئتك على إصرارك، وصورة الافتتاح معلقة
خلفك.

نظرت خلفي وبالفعل رأيت صورة معلقة على الحائط
ليوم إعادة افتتاح المقهى، وكان أبي وأمي وإخوتي وزوجتي
يقفون بجانبني في الصورة...
دانة وهي تكمل: لم يقدر والدك على الوقوف بوجهك
هذه المرة...



قبل فترة... ومن ضمن علاجي النفسي مع الدكتور نزار، طلب مني أن أذهب وأجلس مع والدي للحديث معه بصراحة ووضع حلّ لعلاقتنا المتوتّرة تلك؛ خاصة وأن لأبي دورًا كبيرًا في جلدي لذاتي والصّدمة التي تعرضت لها...

دخلت غرفته، كان يُشاهد الأخبار على شاشة التلفاز ويشرب القهوة العربية، جلست بجانبه بهدوء بعد أن قبّلت رأسه، استغرب والدي رؤيتي حيث إنني لم أذهب للجلوس معه برغبتي الشخصية منذ فترة طويلة جدًّا، لدرجة أنني لا أتذكر متى آخر مرة جلسنا وحدنا سويًّا، كنت دائمًا في حالة نُفور منه وكنت أتجنّب الجلوس معه وحدنا... أطفأ أبي التلفاز ثم التفت إليّ وسألني لو كنت بخير...

خليفة: أنا بخير الحمد لله، وقد أتيت اليوم لأبشرك بخبر جميل قبل أن أخبر به أي مخلوق آخر... زوجتي دانة حامل.

أبو حمّد بحماس: ما شاء الله، هذا خبرٌ سارٌّ فعلا، ستطير أمك من الفرحة لو علمت، مبارك يا خليفة... هل هو صبيّ أم فتاة؟ يجب أن تُسمّيه على اسمي لو كان...

خليفة مقاطعًا له: لا يهمّ جنسه يا أبي، ولا يهم اسمه ولا



شكله ولا أي شيء، المهم هو أنني سأحبه وسأقبله مثلما يكون، سأقبل شخصيته حتى لو كان عنيداً ولا يتماشى مع جميع رغباتي، وسأدعم اهتماماته حتى لو كنت أراها سخيّة، وسأساعده إن احتاج إلى مساعدتي في يوم، وسأقف معه وأسانده كي يُحقّق طموحه في الحياة، وسأمسك بيده عندما يسقط، وسأجعله يعرف بأن له أباً يحبه حباً يغنيه عن العالم أجمعين...

ظلّ أبي صامتاً يحاول الحفاظ على كبريائه، والنظر لي بجمود كعادته...

خليفة: أعلم أن علاقتنا مؤخرًا كانت كثيرة الخلافات والتوتر... لا بل كانت علاقتنا كذلك طوال حياتي منذ أن ولدت، لكنني لا أقدر على الاستمرار بهذه الطريقة يا أبي.

أبو حمد: هذا لأنك كنت تُعاندني، وتعصي جميع أوامري.

خليفة: هل تعلم لماذا كنت أفعل ذلك؟

أبو حمد باستغراب: لماذا؟

خليفة: لأنني أشبهك جداً... أشبهك في طولك ووقوفك الشامخة ونكشيرة جبينك التي تظهر عندما تكون في قمة تركيزك حين تعمل أو عند مشاهدتك للأخبار، وأشبهك في إصرارك وقوة شخصيتك التي أوصلتك لما أنت عليه اليوم، وأشبهك حتى في عنادك، فأنت لم تقبل يوماً بأن تكون نسخةً من أي شخص، لذلك صنعت نفسك



بنفسك وكنت رجلاً عصامياً وغيرت حياتك من فتى عادي ولد وتربى في عائلة بسيطة إلى أحد أكبر رجال الأعمال الذين يُضرب بأسامهم المثل، وأنا مثلك تمامًا، لذلك أنا عنيد ولم ولن أقبل أن أكون نسخةً من أحد ...

ابتسم أبي عندما قلت هذا رغمًا عن أنه كان يُحاول إخفاء ابتسامته...

خليفةً يكمل: أريد استعادة مَقْهاي يا أبي، حان الوقت للعودة إلى طموحي وشغفي الذي لا أقدر على تخيل نفسي من دونه أكثر من ذلك، وأريد النهاية السعيدة... ولكن لا أرغب بالوصول إلى نهاية السعيدة دون وجودك معي في الصورة...

مددت يدي إلى أبي وقلت: "أدعوك لحضور افتتاح مَقْهاي من جديد، فهل ستسعدني بحضورك؟".

رأيت ملامح التردد واضحة جدًا عليه... وضع يده على يدي ببطء وشعرت بها وهي ترجف، لذلك وضعت جبينني على يده بعد أن طبعْتُ قُبْلَةً صادقة عليها... واخترت أن أختار الحبَّ والسَّلام مع أبي.

علاقتي به كانت أصعب علاقة في حياتي... ورغم ذلك كانت من أهم العلاقات التي صنعتني، فهل يا ترى لو لم يكن أبي ما كان عليه... كنت سأكون ما أنا عليه اليوم؟



حسنًا، يبدو أنني مُستيقظ...
هذا ليس حلمًا ...
إنه حقيقة ... رغم أنه يبدو كالحلم...
ثم سمعتُ صوتَ فتاة تُنادي من بعيد وتقول: ”يا بنات
انظُرْنَ، إنه ”الباريسيتا الفنّان“ ... لقد عاد!
قلت بصوت مسموع: ”هل يتحدّثَنَ عني؟!“.
أجابني سيد: ”نعم، وهذا يحدث كل يوم أيضًا، خاصة
بعد أن قام أحدهم بالتقاط مقطع فيديو لك ونشره على
مواقع التواصل على هاشتاق ”عودة الباريسيتا“.
نظرت بتعجب غير مُصدّق لما يحدث...
ثم أخذتُ أصنع القهوة مُستمتعةً بما أعمل وبراءحتها
العطرية الفوّاحة كعادتي وأنا أقدمها للزبائن بأفضل
شكل، ليقوموا بتصويرها كما يحبون ويكتبون عليها ”قهوة
الصباح“ ويبدوون بها يومهم، كم هو شعور جميل أن يأتي
النّاس ليبدووا يومهم بقهوة أصنعها لهم بيدي بكلّ حب...
كان يطلب مني بعض الزبائن أن أقوم بتزيين كوب



القهوة الخاص بهم بأول حرف من اسمهم، وكنت أفعل ذلك باستخدام بؤدرة الشوكولاتة الغامقة المطحونة، ورغم بساطة الأمر إلا أنه كان يرسم البسمة على وجوههم، وكنت أتعمد خلق الأحاديث معهم وسؤالهم عن أسمائهم ومن ثم أقوم بحفظها كي ألقى عليهم التحية بأسمائهم كل صباح عند إعدادي كوب القهوة لهم، كان ذلك يشعرني بالاتصال الجميل مع زبائني...

وعند انغماسي بتلك اللحظات الجميلة... كان يقف طابورٌ من الزبائن أمامي لطلب قهوتهم ريثما كنت أعد قهوة الشخص الذي يسبقهم، ثم لفتت انتباهي إحدى الفتيات من بعيد... ليس لأنها جميلة أو جذابة أو ما شابه... لكن... هل هذه خيال؟

هذه الفتاة نسخة من خيال، ولكن مع القليل من الاختلافات؛ فهي لا ترتدي اللبس المعتاد التي كنت أرى خيال به عادة، بقيت أنظر إليها كل ثانيّين لأتأكد مما لو كانت ستختفي أو تفعل أي شيء غريب كما كنتُ معتادًا من خيال التي لم أرها منذ وقت طويل جدًا... وعند وصول دور تلك الفتاة، شعرت بالخوف والتردد لسبب أجهله، بحثت في عنقها بنظرات سريعة عن سلسلة اللآ نهاية التي كانت ترتديها خيال ولكني لم أجدها، ثم سألتها بتردد شديد فقط لأوقف شكوكي: "خيال؟!". أجابت الفتاة وكأنها لم تفهم ما الذي أقصده: "ماذا؟".



أكّد لي ذلك بأنها ليست خيال، سألتها مجدداً: "ما اسمك؟". أجابتي بعفوية: "اسمي مَي، وهذا أول يوم عمل لي بهذه المنطقة، سمعت عنك الكثير فظننتُ أنها ستكون فكرة جيدة أن آتي لتناول قهوتي من يدك اليوم". قلت بتوتّر: "ش..شكراً لك، هذا من حسن حظي".

تمّت



انتظر؛ قيل أن تذهب... أريدُ إخبارك شيئاً
أنت شخص مُميّز... وتملك شيئاً لا يملكه الكثير...
حتى ولو لم تُدرك ذلك حتى الآن...
وربما تملك حلماً يميّزك...
سترى من حولك نماذج متنوعة من أناس وصلوا إلى
أحلامهم... وآخرين لم يقتربوا حتى...
تذكر بأن سعيك وإصرارك أو استسلامك للظروف...
هو اختيار...
لا تستسلم... ولا تترك حلماً لطالما تمنّيته... مهما
كانت الظروف قاسية...
فجميع الظروف موجودة هنا من أجل أن تجعلك
شخصاً أقوى وأنضج...
لأن التّعثرات مجرد تحديات... ولا تعني أبداً أنها نهاية
قصّتك...
حتى وإن أضعف الطريق يوماً...
أنا متأكد من أنك ستجد مسارك للعودة...

الباريسّتا خليفَة



الرّسائل

كما اعتدّتم في الإصدارَيْن السّابقين لي: (رواية "كل شيء يحدث لسبب" ورواية "سأكون على ما يرام")، دائماً ما أحب إدخال الرّسائل المُلهمة والهادفة في الرّوايات الّتي أكتبها من باب الاحترام لوقت القارئ. أتمنى بصدق أنه حتى لو تناولت هذه الرّواية من باب التّسلية والمُتعة ألا تخرج منها إلا بمكسب... كل حدث وكل شخصية في هذه الرّواية تحمل رسائلها الخاصة، وتقل لكم جوانب مختلفة من الحياة:

١. في أحداث هذه الرّواية كانت هناك العديد من الصّراعات لدى البطل، وكانت إحدى الصّراعات الرّئيسة تعرّضه لحالة "فقدان الشغف"، وهي حالة نفسية وعاطفية يشعر بها الشخص أنه قد فقد حماسه ورغبته للقيام بنشاط ما كان يسبب له المتعة سابقاً. يحدث ذلك نتيجة لعدّة أمور منها التعرّض للخيبات أو الصّدّات أو الضّغط النّفسي الشديد أو الإرهاق أو التوتر المتكرر أو غيرها من الأسباب... حليّة قد يمثل الكثير من



الأشخاص الذين مرّوا بتلك الحالة وبمشاعر وصراعات مشابهة، فبسبب تعرّضه لصدمة كبيرة وألم نفسي شديد نتيجة لخسارته مقهاه الذي بذل الكثير من الجهد فيه، قد تعرض خَلِيفَة لفقدان شغفه، وحتى بعدما حاول خَلِيفَة التعايش مع فقدانه لشغفه لم يكن سعيدًا؛ وذلك لأنه لم يتشاف من الصدمة التي حدثت له، وسواء قرر العودة لحلمه أو اختار حلمًا جديدًا كان يتوجب عليه التشافي؛ كي يستطيع إكمال حياته بسلام دون أن تلاحقه آثار الصدمة.

٢. شخصية "خيال" من اسمها هي شخصية خيالية، وهي تُمثل الحوار الداخلي لَخَلِيفَة، أردت أن أعرض من خلالها مدى تأثير الحوار الداخلي على الإنسان، وكيف يمكنه أن يدمّر الشخص لو كان ذلك الحوار سلبيًا، ولهذا السبب يسمى أيضًا "بالتدمير الذاتي". فنحن نتحدث مع أنفسنا طوال الوقت، لذلك نحن أكثر من نملك التأثير بالكلام على ذواتنا سواء بالسلب أو الإيجاب.

٣. شخصية "أبو حمد" تمثل شخصية الرجل العصامي والأب المتحكّم الذي يسعى لجعل أبنائه مثاليين ولا يقبل بهم إن كانوا أقل من ذلك في نظره، ولا يمانع استخدام القسوة أو العنف معهم في سبيل أن يصلوا للمثالية التي يطمح بها لهم. علاقة خَلِيفَة بوالده كانت سببًا في نظرتة السلبية عن ذاته نتيجة تعامله القاسي معه، لأننا في



طفولتنا نتعرف على ذواتنا ونتعلم الحب وكيفية التعامل مع أنفسنا من خلال المُربّين، وقد يستمر ذلك إلى أن نصل لمرحلة الوعي ونقرّر التّشافي والتغيير، وقد يتطلب التّشافي بعض الجهد والوقت لكنه ليس بالأمر الصّعب. ومن ضمن رحلة تشافي خَليفة كانت مسامحته لوالده وتصالحه مع تلك العلاقة، وقد أيقن خَليفة درس العلاقة في النّهاية عندما قال: "علاقتي به كانت أصعب علاقة في حياتي... ورغم هذا كانت من أهم العلاقات التي صنعَتي، فهل يا ترى لو لم يكن أبي ما كان عليه... كنت سأكون ما أنا عليه اليوم؟". فحتى لو كانت علاقتنا بوالدنا أو مربّينا تعتبر قاسية، هي موجودة لسبب ولتصنع ما نحن عليه اليوم.

٤. شخصية "أم حمد" تمثل الأم التقليدية في المجتمع العربي التي تسعى إلى إرضاء زوجها وتتمنى أن يعيش أبناؤها بالقرب منها وأن تُربي أحفادها بنفسها. علاقة خَليفة بوالدته تمثل "اللّين" في الحصول على ما نريد، حيث إنه يمكننا أحياناً استخدام الرّفق واللّطف والدبلوماسية في الحياة لإقناع الآخرين على فعل ما نريد، مثلما كان يفعل خَليفة مع أمه، وكيف كان يقنعها للموافقة على ما يريده بذكاء وبكل حب دون أن يجرح شعورها كأمر أو يؤثر على علاقته بها.

٥. شخصية "دانة" تُمثل مزيجاً من الصفات، فهي



فتاة تجمع بين الرقة والحزم والمرونة والاندفاعية. تبدي دأنة رقة في التعبير عن مشاعرها وتفاعلها مع العواطف، لكنها في الأوقات الأخرى تظهر اندفاعية في بعض تصرفاتها. تقبل أحياناً أن تكون مرنة ومتسامحة، إلا أنها في الوقت ذاته تدرك قيمة ذاتها وترفض التساهل في أي شيء لا يتناسب مع قناعاتها ومبادئها. ولهذا لم تقبل أن تبقى في زواجها الأول الذي لم تكن سعيدة فيه ولم ترضخ لرغبات أمها في تزويجها مجدداً من رجل غير مناسب لها فقط كي لا تبقى بدون زواج، وأيضاً هي تسعى لتحقيق الحياة التي تتمناها لنفسها. ولهذا انعكست معاملتها لذاتها في معاملة خليفة لها وكيف أنه كان رقيقاً في تعامله معها، يتمسك بها ولا يقبل عليها بالأذية... (لأن الآخرين يعكسون لنا معاملتنا مع أنفسنا). علاقة خليفة بدأنة تمثل العلاقة الصّحية في العلاقات، فالعلاقة الصّحية ليست علاقة مثالية، بل هي علاقة تتطلب بذل الجهد كي تكون كذلك ولا بأس إن كانت بها بعض النواقص أو الخلافات أحياناً، وتحتاج إلى الاحترام والحوار المُنتج والتفهم والدعم ومراعاة مشاعر الطرف الآخر وتحمل مسؤولية هذه المشاعر، فكما قال خليفة: "فقلوب الآخرين ومشاعرهم مسؤولية كبيرة، والعلاقات بجميع أنواعها مسؤولية، فإن كنت لا أقدر على تحمل هذه المسؤولية لا يجب علي الدّخول بها...".



٦. شخصية "حمد" هي نقيض شخصية حَلِيفَةَ، وهذا يمثل ردات فعلنا المختلفة تجاه المواقف، فرغم أنّ كليهما تَرَبَّيا في نفس البيئَة وتحت نفس السَّقْف، إلا أن لكلّ منهما شخصية وردات فعل مختلفة تمامًا. وحمد يمثل الشخصية الضَّعيفة والنَّاتج الأليمة التي تعيش بها هذه الشخصية بسبب ضعفها وقلة ثققتها بنفسها وخوفها وعدم جُرأتها على اتخاذ القرارات، بالإضافة إلى الضَّرر التي تُلحقه بالآخرين، وقد يكون هذا نتيجة للتحكم والسَّيطرة المُفرضة من قبل المرَبِّين... (من الممكن أن تقوى وتتغير هذه الشخصية إلى الأحسن إذا قررت ذلك وسعت إليه). العلاقة بين حَلِيفَةَ وحمد تُمثل علاقة الأخوة التنافسية، فنتيجةً للمقارنات المستمرة بينهما، شعر حَلِيفَةَ دائِمًا بأنه أقل كفاءة من شقيقه بسبب التمييز الذي كان يتعرض له من قِبَل حمد. ونظرًا لأن حَمَد كان دائِمًا يسعى للحفاظ على هذا التفوق، لم يكن يأخذ رغباته الدَّاتية بعين الاعتبار ولم يعرف كيفية فعل ذلك أصلًا.

٧. شخصية "سُمِّيَة" هي شخصية الفتاة البسيطة والعاطفية، فهي مِعطاءة تشعر بالآخرين وتهتم لأمرهم، ويمثل دورها في هذه الرِّواية اتخاذ القرارات، وكيف أن التَّسَرُّع باتخاذ بعض قرارات الحياة المصيرية كالزَّواج ممكن أن يضعنا في موقف لم نكن مستعدين له، ولو كنا فكرنا جيدًا في أبعاد ذلك القرار قبل المضي فيه لكنا



اختصرنا على أنفسنا الكثير. علاقة خَلِيفَة بأخته سُمِيَّة تمثل علاقة الأخوة الصَّحِيَّة، حيث إن الأخ يجب أن يكون رحيماً على أخته ويجعلها تشعر بالثِّقَة والاطمئنان معه لدرجة أنها لا تلجأ إلى أي شخص قبله عندما تحتاج إلى شيء ما، ولكن هذا أيضاً لا يمنع أنه من الطَّبِيعِي حدود نزاعات وسوء فهم أحياناً حتى في أكثر العلاقات الصَّحِيَّة، ولكن الشخصية النَّاضِجَة ستفهم خطأها وتحاول إصلاح ما دمَّرته، مثلما فعل خَلِيفَة عندما أصلح موقفه مع سُمِيَّة والدكتور نزار بعد تصرُّفه الهجومِي معهما، ونظراً لأن علاقتهم تقوم على أساس صحي، فقد تمكنوا من إعادتها كما كانت.

٨. شخصية "الدكتور نزار" تمثِّل الجانب الشخصي والإنساني من الأخصائي النَّفْسي، فحتى الأخصائي النَّفْسي قد يمرُّ بأحداث غير مُحَبَّبة وبمشاعر سلبية وثقيلة، وقد يحتاج إلى المساعدة في بعض الأحيان... ولا بأس بذلك.

شُكْرًا لَوْقَتِكَ

صفا فاضل



شكر خاص للرّسامة المُبدعة "عائشة
الهاشمي" على الغلاف والرّسومات الدّاخلية.
للتواصل: a2aysha@outlook.com

صَدَرَ لِلْمُؤَلِّفَةِ أَيْضًا:

